فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر الثلاثاء سلخ جمادى الاولى ١٣٢٨ – ٧ يونيو (حزيران) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م ﴾

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الاكراه على الاسلام بالسيف ﴾

(س ٢٧) من س · ع · التلميذ في مدرسة الحقوق بالآستانة

الى فيلسوف الاسلام وفخر الامقسيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاغر متعني الله بطول بقائه أمين

رأينا في الجريدة التي يصدرها محمد عبد الله مبعوث آيدين في الآستانة مسألة

عجبنا من صدورها من مسلم وازداد عجبنا ضعفين اذ سمعنا ان كاتبها صاحب تلك الجريدة يعد من علماء الترك، ثم ازداد عجبنا اضعافاً مضاعفة اذ بلغنا ان تلك الجريدة تصدر بمساعدة الحكومة ونفقتها وهي هي الحكومة الدستورية المؤلفة من هيئتين احداهما تسمى التشريعية وأخرى تسمى التنفيذية وكل منهما مؤلفة من المسلمين وغير المسلمين

تلك المسألة هي التي جعلها أعداء الاسلام أشد مطعن فيه وهي ادعاء ان الاسلام قام بالاكراه والاجبار لا بالدعوة والحجة وانه يجب على المسلمين الآن أن يكرهوا الناس على الاسلام بقوة السيف فقد قال في العدد الحادي عشر من تلك الجريدة المسماة باسم (العرب) مانصه :

« إن أكبر مرشد في الاسلام هو النبي عليه الصلاة والسلام كان يحمل كتاب الله في يد والسيف في اليد الاخرى فكان اذا رأى من لا يقبل الحق الذي يدعوه اليه في الكتاب أرغمه بالسيف (!!!) فانتم يامعشر المرشدين المكلفين بوظيفة الارشاد « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

«ثم ان الخلفاء الراشدين والامراء المرشدين الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام قد اقتفوا كلهم هذا الاثر الجليل » اه بحروفه الا كلمة اسوة في الآية الكريمة فكان مكانها في تلك الجريدة كلمة «قدوة» وهي بمعناها ولكن لا يجوز نقل القرآن بالمعنى وما أظن ان صاحب الجريدة تعمد ذلك وان كان يوجب ترجمة القرآن لانه لا يخفى عليه ان تعمد تغيير ألفاظ القرآن بمعناها في العربية كفر وردة مقررة عن الاسلام

فما قول المنار في هذه الدعوى ؟ : أحق ما يقول محمد عبيد الله أفندي و بعض الطاعنين في الاسلام من الافرنج في هذه المسألة أم هو باطل ؟ إن قلتم بالاول فهل تقولون ايضا بما فرعه عليه محمد عبيد الله افندي من وجوب قيام خليفة المسلمين وجميع أمرائهم ومرشديهم باكراه غير المسلمين بقوة السيف (وما في معناه من المدافع والبنادق) على قبول القرآن واتباعه أم لا؟ ان قلتم نعم فلماذا يترك الخليفة وغيره من الامراء والمرشدين حكم دينهم والتأسي بنبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يجب على

مجلس المبعوثين في الدولة العلية ان يلزم الخليفة بذلك ام لا ؟ واذا كان يجب ذلك على المجلس وتركه فهل يكون أعضاء المجلس من المسلمين فاسقين بترك هذه الفريضة ام ماذا يكون حكمهم ؟ وان قلتم لايجب ذلك فكيف تقولون بالاصل دون التفريع عليه ؟ افتونا وعلمونا مما علمكم الله

(ج) الحمد لملهم الصواب ونقول وبالله التوفيق : ان تلك الدعوى التي ادعاها صاحب تلك الجريدة باطلة بأصولها وفروعها ولايقول بها من يعرف حقيقة الاسلام الا اذا تعمد الكذب والبهتان بقصد إيقاع الفتن بين المسلمين وغير المسلمين والجاء دول أوربا الى الاتفاق على الإيقاع بالدولة العلية ولا يعقل ان يأتي هذا من رجل عاقل له صفة رسمية في هذه الدولة ، فنحن لا نبحث في قصد كاتب تلك الجمل التي نقلها السائل ولا في درجة علمه ولا في التأثير السيء الذي يخشى أن يثيره صدورها من مثله ، ولا في صحة ماشاع من اعانة الحكومة على نشر جريدته وانما نخص كلامنا فيما هو اللائق بباب الفتوى من بيان الحقيقة فنقول :

بينا الحق في هذه المسألة في مواضع متعددة من المنار والتفسير خاصة ولاسيما تفسير آيات القتال في سورة البقرة وكذا تفسير «لا إكراه في الدين» منها فراجع تفسير (٢: ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، الآيات من (ص٢٠٣ الى ٢١٢) من جزء التفسير الثاني ، وتفسير (٢: ٢٥٦ لا إكراه في الدين) من (ص٣٥-٤٠) من جزء التفسير الثالث . ولا يذهبن ظنك الى ان حكمنا على من يذهب الى هذا الرأي بالجهل أو سوء القصد حكم بدا لنا الآن نريد ان نلصقه بهذا الرصيف الجديد ، كلا ان هذا هو رأينا منذ سنين طويلة فراجع ان شئت (ص ٢٠٥ ج ٢ تفسير) تجد فيها ان المسلمين لم يكونوا في قتالهم في زمن النبي (ص) الا مدافعين واننا قلنا بعد هذا البيان مانصه « وهل يصح ان يقال فيهم انهم اقاموا دينهم بالسيف والقوة ، دون الارشاد والدعوة ؟ كلا لا يقول ذلك الا غرٌ جاهل ، أو عدوٌ متجاهل » ولا ننس ماقلناه بعد ذلك عن الاستاذ الامام في (ص٢١٠ و٢١١) من هذا الجزء وكذا في (ص٣٩) من الجزء الثالث من التفسير ومنه قوله في آخره «ولا التفات للمهذي به العوام ، ومعلوموهم الطغام ، اذ يزعمون ان الدين قام بالسيف وان الجهاد مطلوب لذاته فالقرآن في جملته وتفصيله

حجة عليهم » واذا راجعت الجزء الرابع من التفسير تجد فيه بيانا لهذه المسألة أيضا

والاصل في هذه المسألة قوله تعالى (٢:٢٥٦ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وهي مدنية وقوله تعالى (١٠:٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومثل قوله تعالى (٨٨: ٢١ فذكر إنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) وقوله عز وجل (٥٠:٤٥ وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وكذلك تقييد آيات القتال بجعله دفاعا والنهي عن الاعتداء فيه كآية (١٩٠) من سورة البقرة التي ذكرنا معظمها آنفا . والراجح في علم الاصول ان المطلق يحمل عليه المقيد وعليه الشافعية .

والسنة العملية تؤيد هذه النصوص الواضحة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن احدا من المسلمين له بحرب ابدا وانما كانت غزواته كلها دفاعا فكان المشركون قبل فتح مكة حربا له وللمؤمنين آذوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم وكانوا يجهزون الجيوش فيسوقونها اليهم في دار الهجرة ليستأصلوهم كما فعلوا في بدر وأحد والخندق فهم معهم في حرب دائمة يصيب منهم ويصيبون منه فلما رضوا منه بالصلح عشر سنين فرح بذلك ورضي منهم بأشد الشرائط وأثقلها على المؤمنين وهو في قوة ومنعة منهم قادر على الحرب وسبق له الظفر فيها ، ثم كان المشركون هم الذين نقضوا الميثاق

وقد بلغ من تقرير الاسلام للسلام ان شدد في المحافظة على عهوده الى درجة ليس وراءها غاية وهي ان المشركين الذين عاهدوا المسلمين المهاجرين اذا وقع قتال بينهم وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وطلب هؤلاء المسلمون من اخوانهم المهاجرين ان يعينوهم على المشركين المعاهدين لهم فانه يحرم نقض عهدهم بمساعدة المسلمين عليهم قال تعالى (٨:٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق)

كنت أظن ان محمد عبيدالله افندي من أوسع علماء الترك اطلاعا على السيرة النبوية الشريفة لأنه من أعلمهم باللغة العربية نفسها لاقامته الطويلة في البلاد العربية فكيف راجت عليه هذه الدسيسة الاوربية والاوهام العامية؟ ليأتنا بحديث واحد في اثبات دعواه ان النبي (ص) كان يأخذ القرآن في يد والسيف في أخرى ويعرض القرآن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على من يلقاه فان آمن والا آتى بالسيف على هامته ففلقها. ما رأينا حديثا في ذلك صحيحا ولا حسنا ولا ضعيفا بل لم نر ذلك في الموضوعات التي كذبوها عليه صلوات الله وسلامه عليه!!

هل يمكن ان يقول مثل عبيد الله افندي انه استنبط ذلك من حرب الصحابة اذ كانوا يعرضون على من يتصدون لحربهم الاسلام فان لم يجيبوا فالجزية فان لم يقبلوا كان السيف حكما بينهم وبينهم!؟ ما أراه يجرأ على القول بأن هذا يؤيد قوله ذاك وان سلمنا له انه من السنة المتبعة . إن اتباعهم لهذه الطريقة إنما كان بعد تقرير الحرب والتصدي لها وانما كان سبب الحرب بين الخلفاء الراشدين وبين الروم والفرس اعتداء الروم والفرس لا اعتداء الصحابة العاملين بقوله تعالى« ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين» والذين صاروا بمقتضى هذه الآية وأمثالها يكرهون القتال وان فرض عليهم لضرورة المدافعة عن انفسهم ودينهم وتأمين دعوته كما شهد الله لهم بذلك في قوله (٢ : ١٠٥ كُتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم)

ذلك بأن الروم والفرس كانتا أمتي حرب وقد ضريتا بما جاورهما من جزيرة العرب فأظلت سلطة كل منهما بعض العرب المجاورين لها لذلك وللعصبية الدينية ساءهما دخول أ كثر العرب في الاسلام وتجدد دولة لهم تابعة لدين مبين فكان كل منهما يهدد دعوة الاسلام في جواره ويعتدي على المسلمين فلم يكن للمسلمين بدٌّ من محاربتهم . ولما كان المسلمون يجوزون قبل الشروع في كل قتال أن يمتنع بأحد السببين : إسلام المحاربين لهم أو الخضوع لهم بدفع شيء من المال لا يثقل دفعه الا على من وثق بقوته على الحرب ، لمنع دعوة الاسلام الجديدة من الانتشار في الارض ، فكانوا يعرضون أحد هذين الامرين والحرب مقررة قبل ذلك بما سبق من الاعتداء ، ولم يكن عرضها هو السنة المتبعة في الهداية والارشاد ، فان النبي (ص) دعا كسرى وقيصر وغيرهما الى الاسلام ولم يهددهما بالسيف وانما دعاهما بالحكمة والموعظة الحسنة اتباعا لما أمره الله تعالى به في قوله (١٦ : ١٢٥ ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

لو ذكر محمد عبيد الله افندي عبارته تلك في سياق الكلام عن الجهاد واحكامه

لتيسر لنا ان نتمحل لها تأويلا ولكنه ذكرها في سياق الارشاد وذكر العلماء المرشدين في صحيفة قال إنه أنشأها لارشاد العرب وحثهم على إرشاد العالم فما هي المناسبة لذكر السيف والارغام على قبول الحق وإنما موضع الحق القلوب وهي لا يصل اليها السيف بل السيف وذكر السيف مما يزيدها نفورا ، ويجعل بينها و بين الحق حجرا محجورا !،

ليست هذه المسألة هي التي شذ فيها وحدها هذا الرجل فان له شذوذا في مسائل أخرى دينية وتاريخية كادعائه أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ماتمت ولا تتم الا بترجمة القرآن الى جميع اللغات ! ، وكادعائه ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى آية للعالمين معجزا للبشر على ممر السنين ، بترجمته الى التركية والفارسية وغيرهما من اللغات وان كان المترجم يترجم بحسب فهمه فيختلف مع غيره فيكون لكل أهل لغة قرآن ، وان كانت الترجمة لا يمكن ان يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله ولا يصح التعبد بتلاوتها ولا يتحقق فيها غير ذلك من خصائص القرآن !!! وقد سبق لي مناظرة معه في هذه المسألة بمصر منذ سنين ، وكانكاره أن للبشر أرواحا مستقلة هي غير الجسم المحسوس وأعراضه وقد ناظرته في ذلك بدار الشريف علي حيدر بك ناظر الاوقاف ، وكادعائه ان جميع العرب مسلمون وإنكاره ان يكون في النصارى عربي واستدلاله على ذلك بعبادتهم لرجل يهودي او قال اسرائيلي (يعني السيد المسيح روح الله ورسوله عليه الصلاة والسلام) فلا عجب ان يشذ في مسألة السؤال ولكن العجب من جرأته على نشرها في صحيفة تنشر في عاصمة المملكة حيث المحكمة العرفية العسكرية المراقبة لكل ما يحدث التنافر بين العناصر العثمانية المختلفة في اللغات والاديان والسياسة اسرار ولا بحث لنا فيها الآن !!

مما يقوي فراستنا في سريان هذه المسألة الى قائلها من بعض الكتب الاوربية الطاعنة في الاسلام أنها تكاد تكون ترجمة لعبارة قالها بعض أولئك الطاعنين في مؤلف له واشار الاستاذ الامام الى الرد عليها في رسالة التوحيد فانه بعد ان قرر قيام الاسلام بالدعوة والحجة ، وانتشاره السريع بموافقته للفطرة ، قال رحمه الله تعالى في الرد على قائل تلك العبارة وامثاله مانصه :

« قال من لم يفهم ما قدمناه أو لم يرد ان يفهمه : ان الاسلام لم يعطف على قلوب العالم بهذه السرعة الا بالسيف فقد فتح المسلمون ديار غيرهم والقرآن باحدى اليدين والسيف بالاخرى يعرضون القرآن على المغلوب فان لم يقبله فصل السيف بينه وبين حياته . سبحانك هذا بهتان عظيم ، ماقدمناه من معاملة المسلمين مع من دخلوا تحت سلطانهم هو ماتواترت به الاخبار تواترا صحيحا لايقبل الريبة في جملته ، وان وقع اختلاف في تفصيله ، وانما شهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن أنفسهم، وكفا للعدوان عنهم، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك ولم يكن من المسلمين مع غيرهم الا انهم جاوروهم وأجاروهم فكان الجوار طريق العلم بالاسلام وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال اليه

« لو كان السيف ينشر دينا فقد عمل في الرقاب للاكراه على الدين والالزام به مهددا كل أمة لم تقبله بالابادة والمحو من سطح البسيطة مع كثرة الجيوش ووفرة العدد وبلوغ القوة اسمى درجة كانت تمكن لها وابتدأ ذلك العمل قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون كاملة واستمر في شدته بعد مجيء الاسلام سبعة اجيال أو يزيد فتلك عشرة قرون كاملة لم يبلغ فيها السيف من كسب عقائد البشر مبلغ الاسلام في أقل من قرن . هذا ولم يكن السيف وحده بل كان الحسام لايتقدم خطوة الا والدعاة من خلفه يقولون مايشاؤن تحت حمايته مع غيرة تفيض من الافئدة وفصاحة تتدفق عن الالسنة، وأموال تخلب ألباب المستضعفين ، ان في ذلك لآيات للمستيقنين . جلت حكمة الله في أمر هذا الدين : سلسبيل حياة نبع في القفار العربية ، ابعد بلاد الله عن المدنية، فاض حتى شملها فجمع شملها فأحياها حياة شعبية ملية ، علا مده حتى استغرق ممالك كانت تفاخر أهل السماء في رفعتها ، وتملو أهل الارض بمدنيتها ، زلزل هديره ـ على لينه ـ ما كان استحجر من الارواح فانشقت عن مكنون سر الحياة فيها . قالوا كان لا يخلو من غلب « بالتحريك » قلنا تلك سنة الله في الخلق لاتزال المصارعة بين الحق والباطل والرشد والغي قائمة في هذا العالم الى ان يقضي الله قضاءه فيه ، اذا ساق الله ربيعا الى ارض جدبة ليحيي ميتها ، وينقع غلتها ، وينمي الخصب فيها ، أفينقص من قدره أن أتى في طريقه على عقبة فعلاها ، أو بيت رفيع العماد فهوى به ؟ »

* * *

﴿ حديث منع الدين بنصارى من ربيعة ﴾

(س ٢٨) من الشيخ محمد بن سالم السكلالي بسنغافوره

سيدي الاستاذ المحدث السيد محمد رشيد رضا المحترم متع الله المسلمين بحياته

بعد السلام : قد اشكل على العبد الفقير ماجاء في الصفحة الـ ٣٣٣ من الجزء الخامس من كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبدالله بن عمر القرشي حديث: ان الله يمتنع (كذا) هذا الدين بنصارى من ربيعة . انتهى فما هو صواب عبارة هذا المتن ثم ما معناه وهل هو صحيح ام لا ؟ أفيدونا لازلتم مصدرا للافادات في المشكلات والسلام

(ج) صواب متن الحديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » فالتحريف من الطبع فيما يظهر والنسخة المطبوعة عندي بمصر ولاأعلم انها توجد هنا (في الاستانة) ومعنى المنع الحماية ومنه منع الانصار النبي (ص) مما يمنعون منه نساءهم وأهليهم في حديث الهجرة أي حمايته . وهو يحمل على من أسلم منهم . وأما سنده فقد رواه عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص واخرجه عنه النسائي ورجاله كلهم في تهذيب التهذيب لديكم فراجعوا تراجمهم فيه وفي غيره مما لديكم وماأراه يصح عنه ولكن ليس لدي الآن وأنا في السفر ماأراجع فيه ولا الحديث من المشهورات فيحفظ ولا هو مما يتعلق به عمل فيضر تأخير البيان فيه ــــــــــ

باب المقالات

قوة الاجتماع والتعاون (*

الاجتماع والتعاون قوة لاتغلب الا بقوة مثلها ، قوة بها ترقي امم وتعتز، وبها يسود قوم على قوم ، وبها تنمي الثروة ، وبها يتغير شكل الحكومة والدولة ، وبها كان كل شيء ويكون كل شيء

عشرة مجتمعون متعاونون ، يغلبون المئين والالوف من المتفرقين المتخاذلين ، اذا ألفوا شركة مالية قطعت اسباب الكسب على اضعاف أضعافهم في العدد من التجار ، واذا كوّنوا عصبة للبغي والعدوان سلبوا راحة الالوف من الناس ، واذا قاموا بالاعمال الاجتماعية احدثوا تغييرا عظيما في العمران ، واذا نشروا العلوم والفنون افادوا مالايفيده الكثيرون من العلماء الاعلام

لماذا كانت الحكومة الاستبدادية القليل افرادها أقوى من الامة الكثير عددها؟ أليس لأن الحكومة جماعة متعاونة ، والامة أفراد متفرقة ؟ ولماذا كانت الامة الدستورية أقوى من حكومتها ؟ أليس لاجتماعها على رأي واحد في شكل الحكومة وكيفية سيرها ؟ فالى متى يظل المنحطون من الامم والشعوب غافلين عن هذه الحقيقة جاهلين طريق هذه القوة - قوة الاجتماع والتعاون - التي بها يرتفع شأنهم ، ويعلو قدرهم ، ويساوون تلك الامم التي ينظرون اليها كما ينظر أهل الارض الى الكواكب اللامعة في جوّ السماء ، ويحسدونها على ما أوتيته من السناء والبهاء ،

*) نشرنا هذه المقالة ومايليها بجريدة الحضارة التي تصدر بالاستانة

وهذه أخبار التأريخ الماضية ، وحوادث الاجيال الحاضرة ، تعلمهم ان الاجتماع مع التعاون هو القوة التي تذهب بشقائهم ، وتشفيهم من أدوائهم ، وتحقق لهم أمانيهم التي يتمنون ، وتعبر لهم الرؤى الصالحة التي يرون ،

لو أردت ان أبين فوائد الاجتماع والتعاون بطرق الخطابة أوالشعر لاحتجت الى انشاء الدواوين ، ولو أردت ان اجمع الشواهد والوقائع في فضلها لصنفت الاسفار الكثيرة في التواريخ ، ولكنني لاأريد هذا ولا ذاك ، إن أريد الا تذكير القارئين بمسألة صارت من الضروريات ، لايحتاج فيها الى نظم الادلة وترتيب المقدمات ، أريد ان أذكرهم ليعملوا ، لاليعلموا مالم يكونوا يعلمون ، ولا لأجل ان يتسلوا عند الفراغ بما يقرؤن ، أريد ان أقول لهم ياقوم انكم ضعفاء في العلم وانتم أذكى الناس أو من أذكاهم ، وانكم فقراء وانتم اقدر البشر على الكسب أو من أقدرهم ، وانكم مهضومون مستضعفون ، لغير ذنب تجنون ، الا تفرقكم وتخاذلكم . انه لاينقصكم الا الاجتماع والتعاون فاجتمعوا وتعاونوا ، ولا يفرقن بينكم اختلاف ديني ولا جنسي مع العلم بأن الحاجة أو الضرورة تقضي باجتماعكم على ما به قوام مصلحتكم المشتركة

لاأدعوكم الى اجتماع مبهم أو خيالي ، ولا الى تعاون مطلق أو اجمالي ، بل أدعوكم الى الاجتماع لازالة موانع الاجتماع ، ثم للتعاون على ترقية شأن الاجتماع بالعلم والثروة ، واعلاء شأن الامة والدولة ، بأن تكونوا أصحاب القدح المعلى الذي يؤهلكم له ذكاؤكم الفطري وأخلاقكم الموروثة التي ينوه بها التأريخ ، اذ يفاخر بأجدادكم جميع الامم والشعوب :

ياقوم ان لكم من مجد اولكم ارثا قد أشفقت ان يفنى وينقطعا
ياقوم بيضتكم لا تفجعنَّ بها اني أخاف عليها الازلم الجذعا

ان الدولة لاترتقي ولاتعتز الا بالامة وان الامة بأخلاقها وعلومها وثروتها ، وان الوراثة اكبر عون للمرء على التربية والعلم والعمل ، فتعاونوا على نشر التعليم والتربية ، تعاونوا على ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، فقد آن لكم أن تخرجوا من مأزق الاعمال الفردية ، الى فضاء الاعمال الاجتماعية ، فلو صار كل واحد منكم أغنى من قارون ، وأعلم بالحكمة من لقمان ، واخطب في العلوم الآلهية والحكمة الادبية من علي

ابن ابي طالب ، وأعدل من عمر بن الخطاب ، وأدهى في السياسة العصرية من بسمرك ، وانشط من غليوم ، لما اعترف لكم أحد بحق ، ولامكنكم أحدمن الاصلاح في الارض ، الا بعد ان تجتمعوا وتتعاونوا

يجب ان تؤلفوا الشركات المالية ولا تنسوا بها المعنى الاجتماعي الادبي ، لاتنسوا انكم اذا خلطتم أموالكم بعضها ببعض تختلط أرواحكم بعضها ببعض فيزول سوء تأثير الاختلاف الطبيعي بينكم سواء كان اختلافا في الدين والمذهب ، أو الجنس والمشرب

يجب ان تؤلفوا الجمعيات العلمية والخيرية لتعميم التربية والتعليم بين جميع الطبقات ليكون افراد الامة كسلسلة اذا تحركت حلقة منها تحركت سائر الحلقات

يجب ان تطالبوا الاغنياء يبذل الاعانات العظيمة لنشر العلم وانشاء المدارس فمن بخل على الامة بفضل ماله فعليكم ان تبينوا للامة أنه عدوها وانه يجب عليها ان تمقته وتحتقره ،وأما من يجود عليها بما يرفع شأنها فعلموها كيف تعظم شأنه وترفع قدره ، استعينوا على هذا بالكتاب والشعراء ، فهم الذين يربون لكم الاغنياء ،

يا أصحاب الاقلام :ان في أيديكم قوة تعمل مالا تعمل السيوف والمدافع ، ان من تعظمونه بالحق يكون قدوة واماما في الخير لاهل عصره ، ولمن يأتي من بعده ، وان من تحقرونه ولو بالباطل يكون محتقرا في زمانه ومحتقرا في التأريخ حتى تستحي ذريته ان تنتسب اليه فاعرفوا قيمة انفسكم كما عرفها بشاراذ قال :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   اني أخاف عليكم أن أغضبا
أبني حنيفة انني ان أهجكم   أدع اليمامة لاتساوي أرنبا

اعرفوا قيمة هذه السلطة المعنوية التي لاتظهر قوتها على كمالها الا في الجرائد واستعملوها في اصلاح حال الامة فبذلك يعلو قدركم ، ويرتفع ذكركم ، وتنالون من الناس احسن الشكر ، ومن الله تعالى اكبر الاجر ،

وأنتم ياأصحاب الجرائد أولى أصحاب الاقلام بهذا العمل لان صحفكم تجعل لكلامكم من التأثير ماليس لكلام غيركم الذي لاتقبلون نشره فيها فحرضوا

الكتاب والشعراء على هذا الاصلاح ونوهوا بفضل من يساعدكم عليه ولا تبالوا بمن عداه بل أدبوه كما تؤدبون بخلاء الاغنياء

يا أصحاب الجرائد: لا تفتننكم سياسة الحكومة فتجعلوا عنايتكم محصورة في أعمالها وأقوالها اجعلوا جل عنايتكم في اصلاح حال الامة فلن تصلح دولة أمتها جاهلة متخاذلة، فباصلاح الامة يتم لكم ماتريدون من اصلاح الحكومة فهي كل شيء ويجب ان يكون لأجلها كل شيء

* * *

كيف تنال الأمة حقوقها ؟

ان للأمم حقوقا طبيعية وشرعية ، وان حقوقها كحقوق الافراد تغصب منها وتغلب عليها ، وان الغاصب لها قد يكون واحدا منها أو واحدا من غيرها وقد يكون جماعة منها أو من غيرها ، واعني بالفرد الذي يغصب حق الامة الحاكم المستبد المطلق ، الذي يرجع اليه الأمر كله في سياستها، ان شاء عدل ، وان شاء ظلم ، وان شاء أشرك غيره بالحكم ، وان شاء انفرد ، وأعني بالجماعة الحكومة المقيدة كيفما كان شكلها ونوعها ،

اذا ظُلم الافراد وغصبت حقوقهم يختصمون الى الحكام فاما ان ينصفوهم واما ان لا ينصفوهم ، واما الامم فليس لها محاكم تختصم اليها ، لان حكامها هم الذين يغصبون حقوقها ، وماذا تفعل وخصمها هو الحكم ، وكيف تنتصف منه اذا جار وظلم ، ؟ ومتى تسترد حقوقها منه اذا اعتز وغلب ؟

لا تنال حقوق الامم بنظم الأقيسة وترتيب المقدمات ، واقامة الحجج وايراد البينات ، ولا بالرجاء والتعليل ، ولا بالبكاء والعويل ، لان الغاصب لا يكون فاضلا عادلا فيقنعه البرهان، ولا رؤفا رحيما فيؤثر فيه من ناحية الوجدان ، وانما يكون فظا غليظ القلب ، لايخضع الا للقوة والبأس ، فيعطي بالقوة كما يأخذ بالقوة ،

كيف تصير الامة المغلوبة على أمرها ذات قوة تسترد بها حقها ، اذا كان الحاكم واقفا لها بالمرصاد ، مانعا إياها بقوته من إيجاد قوة لها ، ؟ اقول ان البأس

من قوة أمة هذه حالها اقوى من الرجاء فيها ؟ أم نقول يجب أن تثور على حكومتها ثورة تشيب النواصي ، وتزلزل الرواسي ، وتجعل الرفيع وضيعا ، والذليل عزيزا ؟؟ أم هنالك حيلة اخرى يكتفى منها بالقوة المعنوية ، عن القوة المادية ؟؟

هذه المعاني قد انتقلت من أور با الى الشرق ، وكثر الحديث بها في هذا العصر ، ولاسيا بعد الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي ، وربما تكون قدجالت في ادمغة زعماء الارنؤط الذين أوقدوا نار الفتنة في هذه الايام ، وكانوا عونا على الدولة وعلى انفسهم ، لاولئك الاعداء الذين أجمعوا كيدهم على اسقاط هذه الدولة بل على محوها واقتسام تراثها بدون حرب طحون تسفك فيها دماؤهم ، وتغتال بها اموالهم ، فهم انما يحار بونها حر با معنوية ، يغرون عناصر أمتها بالعداوة والبغضاء ، ويضر بون بعض أعضائها ببعض حتى تقضي على نفسها قضاء وشيكا أو بطيئا ،

يقول لسان حال هؤلاء الساسة أو لسان مقالهم للترك انكم انتم الفاتحون وأصحاب السيادة القادرون ، ولا حياة لكم ولا شرف ، بل لابقاء لكم ولا وجود الا بتعصبكم لجنسكم ، وجعل زمام الامة في أيديكم ، فان هذه المزية اذا فاتتكم تكونون وراء سائر العناصر المنسو بة الى دولتكم ، لانهم أقدر منكم على الكسب ، ولا تقدرون أن تسبقوهم بالعلم ، فاعتمدوا على هذه الكتائب قبل الكتب ، فهي التي تحفظ لكم السيادة على العجم والعرب ،

ويقولون للعرب انكم العنصر الا كبر في هذه الدولة ، ولكم الحق الاول في السلطة والخلافة ، و بلادكم قلب الارض ، وموطن الدين ومهبط الوحي ، ولغتكم لغة القرآن الذي يدين به فيتعبد بها ثلاث مئة مليون من الناس ، ولكم من السلف في المدنية والعلم ، ما يدل على ان استعدادكم اعلى من استعداد الترك ، بل ومن غير الترك من شعوب الارض ، وهم قد خر بوا بلادكم بعد عمرانها ، وحالوا بينكم و بين الاستفادة من كفاءتكم ومزاياها ، وقد آن أوان طلب الحقوق ، والمؤاخذة على العقوق

ويقولون للارنؤط انكم شعب مجيد ، وانكم أولو قوة وأولو بأس شديد ، وانكم أقوى من الترك استعدادا للمدنية ، لانكم من الشعوب الاور بية ، و بلادكم

قابلة لذلك اذا هي استقلت بالحكم ، وألقت عن كاهلها اثقال سلطة الترك ، فدونوا لغتكم بالحروف اللاتينية ، ولتتحد البلاد الشمالية بالجنوبية ، وستنالون كل أمنية ، بمساعدة أوربا عاشقة الانسانية ، ! ! !

ويقولون للارمن انكم اذكى العثمانيين أذهانا ، وأطلقهم لسانا ، وأجرأهم جنانا ، واقدرهم على الكسب والاعمال ، واسبقهم الى الاتحاد على طلب الاستقلال ، وقد جمعتم لذلك ماجمعتم من المال ، وركبتم في عصر نيرون الترك ما ركبتم من الاهوال ، حتى اقتحمتم العقاب ، وذللتم الصعاب ، فلا تهنوا ولا تنوا في الامر ، ولا يصدنكم ماتنالون من الدولة عن طلب الملك ، وان أوربا المسيحية ، لزعيمة لكم بتحقيق هذه الامنية ، فخذوا الاهبة وانتظروا الفرصة ، وأعدوا لها الشعب كله ، بتعليم المدارس ، ووعظ الكنائس ، ووضع صور ملوككم ، وصور يتامى وأرامل المقتولين منكم ، في بيوت عامتكم وخاصتكم ، مع تحريك الاشجان ، واثارة الاضغان ، بالأناشيد والالحان ،

ذلك مايوسوس به شيطان السياسة الجنسية ، في اغراء الشعوب العثمانية ، وما هو الأكيد وخداع ، جدير بالعصيان لا بالاتباع ، وأما ملك الالهام ، الداعي الى الوفاق والسلام ، فانه يصيح بهؤلاء الاقوام : لا تستحبوا العمى على الهدى ، واستجيبوا لداعي العقل دون داعي الهوى ، واعلموا ان تفرقكم وانقسامكم ، وعداءكم وخصامكم ، وإلجاء الدولة الى تفريق قوتها في بلادكم ، لمقاومة فتنكم وثوراتكم ، هو الذي يحول دون ارتقائها وارتقائكم ، ويفضي والعياذ بالله الى هلاكها وهلاككم ، وارث الدول الاوربية لارضكم ودياركم ، ووالله إنكم لتكونن حينئذ أبعد عن الاستقلال ، واقرب الى الخزي والنكال ، انكم تملكون اليوم في حجر هذه الدولة جميع اسباب الارتقاء ، ولا تملكون غدا في حجور اوربا الا اسباب التدلي والاستخذاء ،

لا مرحبا بغد ولا أهلا به   ان كان (تفريق المتاصر) في غد

لا أقول ان الدولة نفسها ترقيكم ، بل اقول انه لا يرجى ان ترقيكم ، لا لأنها لاتريد ، بل انها ان ارادت لاتقدر ، وانما يجب عليكم ان ترقوا انفسكم ، وترقوها بترقيتكم ، فقد صار أمرها في أيديكم ، نعم ان العنصر التركي هو الذي يدبر اليوم

أمر الحكومة ، لأن له الكثرة في مجلس الامة ؛ وان منكم من يسيء الظن به ، ويعده غاصبا لحق غيره وما نعا له من الوصول الى مطلبه ، وان هؤلاء ليكبرون الصغير ، ويغفلون عن الامر العظيم ؛

الخطب سهل والأمر طبيعي ولا ضرر في كون الغلبة في الحكومة لعنصر يرجح قومه على غيره في الاعمال ؛ وانما الضرر ان يكون أمر الحكومة في ايدي العاجزين عن الاصلاح ، وان القادرين عليه من جميع العثمانيين لقليلون ، وانا الآن في دور تجربة فندعهم يجربون ؛ ولا يجوز لنا ان نتمادى في سوء الظن ، ولا ان نؤاخذهم على كل ذنب ، فنجعل ما يقترفه الشخص ذنبا للعنصر والشعب ؛ بل يجب على العقلاء المحبين للاصلاح العناية بامرين احدهما يتعلق باصلاح الحكومة والآخر يتعلق باصلاح الامة

اما اصلاح الحكومة فله طريقان لا بد من الجمع بينهما ، أحدهما حسن اختيار المبعوثين، وأعضاء المجالس العمومية ؛ وثانيهما مراقبة العقلاء واصحاب الجرائد للحكام والعمال في النظارات عامة ، ونظارة المعارف خاصة ؛ والانتقاد على الظالمين والمفسدين منهم ؛ والسعي في زلزالهم ولا يتم شيء من ذلك الا بالاجتماع والتعاون

وأما اصلاح الامة فله طريقان ايضا لا بد من الجمع بينهما ، احدهما نشر التعليم الاهلي مع التربية الصالحة ، وثانيهما الاعمال المالية التي تنمي ثروة البلاد ، ولا يتم شيء منهما الا بالاجتماع والتعاون ،

قد اشرت في مقالة (الاجتماع والتعاون) الى شيء مما يتعلق بالتربية والتعليم والاستعانة على ذلك بالاغنياء ؛ وانما قصدت بذلك تنبيه الاذهان ؛ وتوجيه الهمم وتحريك الاقلام ، دون التفصيل والاستقصاء ؛ وعسى أن أبين في مقال اومقالات أخر كيفية الاجتماع والتعاون على كل من اصلاح الحكومة واصلاح الامة بشيء من التفصيل، وأحوج العثمانيين الى ذلك العرب والترك والكرد والارنؤط؛ وأما الارمن والروم والبلغار واليهود فلهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وطرق معبَّدة هم فيها يهرعون ؛ فلا يحتاجون الى رأينا ، ولا الى معرفة طرق تعليمنا وسعينا ؛ بل نحن المحتاجون الى معرفة سعيهم ، وطرق تربيتهم وتعليمهم

ان الاجتماع والتعاون على ذينك الاصلاحين هو الامر العظيم الذي غفل عنه الذين يتحدثون ويكتبون في مسألة حقوق العناصر ، هو القوة المنوية التي تغني عن الثورة ، وتنال الامة به من حقوقها ما لاينال بالسيف والمدفع ، مع امن الخطر على الدولة ، التي يجب الاتفاق على حفظ كيانها ، وتعزيزها ورفعة شأنها ، قبل كل سعي ، ومع كل سعي ، وبعد كل سعي ،

يسمع في البلاد العربية قليل من الكلام ، ويوجد في بلاد الارنؤط كثير من السلاح ، وكذلك في صحاري الجزيرة والعراق ، ولا تصلح البلاد بهذا ولا ذاك ، على ان السلاح هنا وهنالك لم يقتن للاستعانة به على الاصلاح ، وانما اقتني ليكافح ويدافع به الناس بعضهم بعضا وقد يسلونه في وجه الحكومة اذا أحسوا بالظلم ، وكانت الحكومة ولا تزال بشؤم الماضي عاجزة عن تأمين تلك البلاد وحماية الأعزل فيها من عدوان شاكي السلاح ، وأما البلاد التي يشكى فيها من الحكومة ويطالب بعض العناصر فيها بحقوقه فهي أشد البلاد اخلاصا للدولة ، وأبعدها عن الخروج والفتنة ، اما العرب فقد خرج صوتهم من عاصمة الملك ، ورددت صداه سورية ومصر ، وهل يوجد أحد أعرف من العاصمة وسورية ومصر بقيمة الدولة واغير عليها وأحرص على عزتها ورفعة شأنها ؟ كلا وانما ذكرت هذه الجملة استدراكا على كل ما تقدم ، لأبين ان الباحثين في حقوق العرب ا كثرهم في هذه البلاد ، وانهم اعرق العثمانيين في الغيرة والاخلاص ، على ما كان من سوء التفاهم بينهم وبين القابضين على ازمة الأمور كابينا ذلك بالتفصيل في مقالاتنا «العرب والترك» بحسب ما اداتا اليه اجتهادنا الى ذلك الوقت ،

نحن نعتقد ان الاسلام قد حرم العصبية الجنسية ، وجعل المسلمين أخوة على اختلاف أجناسهم وعناصرهم ، وكنا نعتقد ان أشد التعصبات الجنسية ضررا على على المسلمين في هذا العصر تعصب العرب والترك للعربية والتركية ولذلك سعينا هنا (في الآستانة) جهدطاقتنا بالقول والكتابة ،لسد هذه الثغرة التي فتحتها السياسة،

وقد قلت ولا أزال أقول إن الاسلام قد أبعد العرب عن النعرة الجنسية حتى صاروا أبعد الامم عنها ، وانه لايقدر أحد على اعادتها اليهم أو اعادتهم اليها ،

اللهم الا من يتحاملون عليهم من الترك فهم وحدهم القادرون على هذا الامر ، وقد عجز عنه الافرنج اذ حاولوه من قبل ،

ان سيرة ساسة الترك ومتولي أزمّة امورهم وكتاب اشهر جرائدهم هي سيرة من يريد تحريك الجنسية العربية لا مفر من ذلك الا بادعاء كونهم لا يعلمون ماذا يعملون ، فاذا تحقق هذا فان نهي مثلي عن نهوض العرب باسم العرب ماعاد له فائدة . فما عليّ اذاً الا أن أذكرهم في جنسيتهم بأمرين لامندوحة عنهما . ولايمكن ان يحل محل العرب سواهم فيهما . أحدهما جعل أساس نهضتهم تعزيز الدولة العلية ، وثانيهما ان يكونوا حلقة التعارف والاتصال بين جميع الشعوب الاسلامية ، فالامر الاول يجب على المسلم وغير المسلم منهم لانهم العنصر الاكبر لهذه الدولة ، والامر الثاني يجب على مسلميهم خاصة لانهم أولى بالارشاد الاسلامي وأقدر عليه من غيرهم ، وهم بهاتين الوظيفتين المقدستين لايقاسون على أمة ولا على شعب ولايقاس عليهم غيرهم ، لحقوقهم اعظم ، والواجبات عليهم اثقل ، وامامهم الصراط المستقيم ، فليتبعوه إن كانوا فاعلين ، والله الموفق والمعين .

* * *

النهضة المصرية والدستور

مصر بلاد ممتازة في ادارتها الداخلية، تابعة للدولة العلية العثمانية، فكل مصري عثماني ، وما كل عثماني مصريا ، فبينهما العموم والخصوص المطلق كالمهندس والمتعلم مثلا ، فكل مهندس متعلم ، وما كل متعلم مهندسا

مرَّ على العثمانيين والمصريين زهاء ثلث قرن وهما على طرفي نقيض ، أو حرفي تباين ، إذ هؤلاء يرسفون في قيود العبودية ، وأولئك يرفلون في حلل الحرية ، ثم تحول شكل الحكومة العثمانية فجأة فطفرت من هاوية الاستبداد المطلق ، الى قنة الحكم النيابي المقيد ، فأحدث هذا الطفور شيئا من رد الفعل فقامت الحكومة العرفية تحوط وتحمي حمى الحكومة الدستورية ، فلولا الجند العثماني لما ذكر الدستور جهرا

في هذه البلاد ، ولولا الجيش لما طمع احد في استقرار الدستور فيها ،

وأما مصر فكانت تنطق اذ كانت البلاد العثمانية صامتة واجمة، وكان العثماني الحر لايستطيع ان يتكلم في بلده ، فالمصريون قد طلبوا الدستور بصوت اندى من صوت العثمانيين واصرح ، هم طلبوه جهرا إذ كنا نطلبه سرا ، ولكن لم يكن لهم جيش كجيشنا يلبي نداءهم ويجيب دعاءهم ، ولم تكن بلادنا كبلادهم محتلة بجيش اجنبي ، ولا حكومتنا كحكومتهم محاطة بنفوذ دولة اجنبية قوية ، فوجب ان يكون طلبهم بالحجة ، وتربية الاحساس وجمع الكلمة ، فكل من الفريقين قد سعى الى مطلبه في محيط الامكان ، ولم يطمع في تجاوزه الى المحال ،

قويت حجة المصريين بعد اعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية التي هي أمهم وهم اقدر أولاد هذه الام على رفع بلادهم ، وترقيتها بجدهم واجتهادهم وقد انتشر فيهم التعليم ونمي في نفوسهم شعور القوميـة ، واتسعت دائرة التكافل والتعاون على المصالح العامة ، فأنشأوا بأموالهم ألوفا من الكتاتيب الابتدائية، وأنشأوا مدرسة الجامعة المصرية ، وعندهم عدة جمعيات خيرية وعلمية ، وكثر قراء الجرائد والمجلات فيهم ، وبلادهم متصل بعضها ببعض بالسكك الحديدية فلا يحدث في زاوية من زواياها حادثة ذات بال الا ويطوف خبرها جميع ارجائها في يوم أو يومين ، فأنى للبلاد العثمانية ان تشاركها بهذه المزايا كلها ؟ فمن انكر على المصريين استحقاق الحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون زاعما ان استعدادهم دون استعداد اخوتهم له فهو اما جاهل ملبم ، وإما ظالم مبين

أنا أشهد ان مصر قد صارت أقوى استعدادا للحكم النيابي بفضل النابغين من أبنائها وأبناء اختها سورية الذين جذبتهم اليها جامعات اللغة والجوار والعادات وبما استفادته من مشاركة أبناء الشعوب الاوربية ، وبما ساقه اليها الاحتلال الانكليزي من ضروب العبر في سيطرته على حكومتها ، وتصرفه في ادارتها وماليتها ، وبانفخه استثقال السلطة الاجنبية في نفوس أهلها من حب الخلاص مع بقاء سيادة الدولة العلية عليها ودوام ارتباطها بها في السياسة الخارجية

* *

مع هذا كله أقول ان مصر لا تزال مقصرة في أمر عظيم هو الركن الاعظم والبرهان القاطع لشبهات الاحتلال ولو اهتمت أحزابها وجرائدها به كالاهتمام بالسياسة لكانت أقرب الى النجاح والفلاح . ألا ان هذا الامر العظيم هو مايدل عليه بالايجاز لفظ (الاقتصاد) وبيانه بالتفصيل والإطناب ، تدخل فصوله في كثير من الابواب ، وما من باب منها الاوقد دخله كثير من المصريين ، فالافراد منهم يعرفون جميع الجزئيات ، ولكن الاحزاب والجماعات لمّا تهتم بما يجب من الكليات

نريد من الاقتصاد ان تكون رقبة البلادلاهلها خالصة لهم من دون الاجانب وأن يكونوا أحرارا في تصرفهم بها ، نريد ان يقف سريان امتلاك الاجانب للارض عند الحد الذي وصل اليه ، وان نضع عن الوطنيين اصرهم واغلال الديون التي غلّوا بها أيديهم الى أعناقهم ، وقيودها التي قيدوا بها أرجلهم ، ثم نريد ان تكون ثروة البلاد قوة في ايدي أبنائها يوادّون بها من شاءوا من الامم ويحادّون بها من شاؤا فيعملون بها مالايعمل السيف ولا القلم فتكون هي العون والنصير لهم في مقاصدهم السياسية والاجتماعية

المال هو القطب الذي تدور حوله أفلاك السياسة في جو هذه المدنية فلولاه لما زحف اهل الشمال على أهل الجنوب في الشرق والغرب واستولوا على بلادهم باسم الفتح والاستعمار ، أو النفوذ والاحتلال ، وان اصحاب الاموال في اوربا لهم الذين يتصرفون في سياستها كما يشاءون ، وبيدهم ميزان الحرب والسلم فهم الذين يزنون ويرجحون ،

ما كان لأهل الشمال أن يكونوا أقوى من أهل الجنوب استعدادا للاعمال المالية، إن زعامة المال فيهم ليست إلا بايدي رجال منا، انها كما يعلم الخبيرون في أيدي اليهود وهم منا (نحن الشرقيين) نسبا وموطنا وانما ظهرت براعتهم في اوربا باستقرار العدل والحرية فيها ، ويلي اليهود في الاستعداد سائر اخوانهم السوريين والفلسطينيين ، وان سورية ومصر لأختان شقيقتان ، وقد تمازج أبناؤهما منذ القرن الماضي فكانا كمزاج الماء بالراح ، فاستفاد كل من الآخر ولولا أن قام بعض الكتاب بما قام به من

سياسة التحليل ، واضافة ذنوب الافراد الى الشعب والقبيل ، لكان الاتحاد أقوى والاستفادة منه أتم

كل سوري بل كل عربي يجيء مصر ويقيم فيها يحسبها وطنه ويرى أهلها قومه واخوته ، لسانهم لسانه ، وعاداتهم عاداته ، ومحا كهم محا كه ، فاذا اثرى فيها كان هو التابع لثروته ، ولم تكن ثروته هي التابعة له الى بلاده ، تجذبه مصر اليها فيكون عضوا من أعضائها ، أو مادة من مواد غذائها ، ولا يجذب هو شيئا من ثروتها الى بلاده لتكون غذاء لها ، فالمالي من السوريين أو العرب يمد حياة مصر المادية بكده وكدحه ، كما يمد العالم والاديب منهم حياتها المعنوية بلسانه وقلمه ، فينبغي للمصريين ان يحكموا روابط الاتحاد بينهم وبين من يتصل بهم من اخوانهم المشاركين لهم في جميع مصالحهم ومنافعهم ويستعين بعضهم ببعض على ما تجب العناية به من النهضة الاقتصادية

ان حوادث الزمان قد أعدت النفوس لاحكام هذا الاتحاد وتوثيق روابطه فاستعدت له وقد ترجم عن هذا الاستعداد مدير « الجريدة » في السنة الماضية بمقالة له اقترح فيها اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل ، وان وراء ذلك لقوة أخرى لمصر هي غافلة عنها ، وما رأيت أحدا نبه اليها ، وهي زعامة ارتقاء الامة العربية بأسرها ، ولا سيما الولايات العثمانية منها ، فقد دبت الحياة الى هذه الولايات بفضل الدستور وتوجهت وجوه العقلاء الى احياء اللغة العربية بالقول والكتابة والعلوم والفنون ، وان عاصمة دار السلطنة لهي التي تحفز همتهم الى ذلك ، وان سورية لمبسوطة الذراعين لعناق مصر وناشزة الشفتين لتقبيلها

فالذي أقترحه على مصر الآن هو أن تبادر الى تأليف جمعية أو لجنة اقتصادية أعضاؤها من جميع الاحزاب والعناصر الخاضعة للقوانين المصرية ومن أصحاب الجرائد لاجل القيام بما أشرنا اليه آنفا ، ويجب ان يكون أول عملها احصاء ديون الاهالي والنظر في الطرق القريبة لوفائها وتحويل مدها الى جزر لا تفيض بعده ثانية ، ثم النظر في مسائل المضاربات والشركات وتلافي ضررها العظيم ، ولأحوال الاحاطة ببيان كل ما يجب ان تعمله لمنع اغتيال الاجانب لثروة البلاد ولتنمية هذه الثروة

وتثميرها ، بل لايستطيع ذلك مثلي ، فاتما أنا مذكر بالامور الكلية التي أرى البلاد قد استعدت لها أو يجب ان تستعد لها ، وان وراء ما ذكرته من المبادئ غايات لاتحصى فوائدها ،

انني قد ذكرت اخواني المصريين بمثل هذا غير مرة ، ذكرتهم به منذ ثلاث عشرة سنة أول مقدمي الى مصر في خطب خطبتها ومقالات كتبتها في المنار والمؤيد، ثم أعدت التذكير بذلك في « الجريدة » أول العهد بصدورها وها أنا ذا أعيد التذكير « فذكران نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى »

اذا كانت السياسة قد شغلت قلوبهم وأفكارهم ، وملكت عليهم ألسنتهم وأقلامهم ، فهم يعلمون ان هذا العمل لايعارض سياستهم بل يدعمها ويعززها، فاذا لم يكن الآن وسيلة عاجلة للحكم النيابي فربما يكون غدا أرجى الوسائل وأقربها ، فان نالت البلاد ماتطلبه من هذا الحكم بالوسائل التي يراها الاحزاب أقرب فليس بضارهم ان يجمعوا بين حكم أنفسهم وبين حفظ ثروتهم من اغتيال الاجانب، وقد يضرهم ان لايكونوا جامعين لها، فانا نرى الحكومة العثمانية ـ وقد صارت دستورية ـ مغلولة الايدي دون ماتبتغي من الاصلاح لقلة المال ، وقد كان دينها قبل الدستور قريبا من دين الحكومة المصرية ولكن الامة العثمانية على فقرها وتأخر عمرانها ليست مدينة للاجانب كالامة المصرية على سعة ثروتها وعمران بلادها ،

لابد لكل من يتصدى لامر عظيم أن يرجو الفوز ويخاف الخذلان وان يعد لكل امر عدته، وحجة المصري على وجوب حكمه لبلاده لا تزال ناهضة مادامت رقبة البلاد في يده لاحقوق فيها للاجانب ، والآن قد صار زهاء خمسها ملكا للاجانب أفلا يخشى ان يطغى هذا السيل الآتي حتى يغمر نصف أطيان القطر أو أكثر من النصف في زمن قريب اذا لم تقم في طريقه السدود التي تصد طغيانه ؟ ألا يخشى ان يتحد يومئذ أصحاب الاطيان من الاجانب وأصحاب الديون على الفلاح الوطني كما هي عادتهم ويقولوا ان هذه البلاد ليست لكم وحدكم أيها المصريون فيصح قولكم نحن أولى بحكمها وانما هي لنا ولكم، ونحن أقدر على الحكم منكم، أو يجب أن يكون مشتركا

بيننا وبينكم كما قال لورد كرومر ؟ يومئذ لاتنفع الحجج ولا تفيد المظاهرات ولا يغني الاعتصاب شيئا الا غَناءً قد يكون اثمه اكبر من نفعه

قد رأيتم العبرة في العسرة المالية التي صدمت البلاد في هذه السنين الاخيرة، رأيتم كيف أصبح أصحاب الاراضي الواسعة أحير من الضب ، واعجز من أسير الحرب ، هذا ولم يكن أصحاب الاموال في أوربا متحدين على تعمد حربكم حربا اقتصادية ، وهل يعجز دهاة السياسة الانكليزية أن يحملوهم على هذا الاتحاد في يوم من الايام ؟

لكل قطر طبيعة واستعداد والقوة الطبيعية أنفع من القوة المتكلفة ، والامة المصرية مستعدة لمغالبة كل أمة من أمم الارض ، بقوتي الثروة والعلم، وليست مستعدة لمقاومة دولة كبيرة بالحرب ، ولاسيا في هذا العصر ،فليكن اعتمادها على ماهو قريب من استعدادها ، وعناية الله كافلة لها نيل مرادها ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأريخ التجنيد العثماني (*

كان قانون أخذ العسكر موضوع جلسة يوم السبت في مجلس الامة كما يراه المطالع في باب هذه المذكرات من هذا العدد . وقد صدَّره قومسيون العسكرية في المجلس بمقدمة تأريخية باحثة عن طرق التجنيد في الدولة منذ تأسست الى يومنا هذا فأحببنا اقتطاف المهم منها لمحبي التأريخ

« اذا استثنينا الرومان فقلَّ ان نصادف في تأريخ عسكرية الامم اشارة لوجود اجناد دائمية منتظمة . وفي القرون الوسطى كان هذا الامتياز للعثمانيين و بعد قرن من ذلك أسس شارل السابع ملك فرنسا أجنادا دائمية

« كانت أجناد العثمانية الى سنة ٧٣٠ ه . مؤلفة من المتطوعين وعبارة عن جيش موقت يقبل فيه كل راغب من الشبان . لم يكن لباس الجند واحدا بل كان

(*) نقلناها من جريدة الحضارة التي تطبع بالآستانة

كل واحد يلبس مايشتهي ويحمل السلاح الذي يريد . وكان الفرسان اسمى مقاما من الرجّالة . والاسلحة يومئذ عبارة عن الحسام والسنان والترس والقوس . وكان هذا الجيش المتطوع يدعى « آقينجي » (معناه السيل الجارف) ويوجد غيرهذا الجيش جند يدعون الصاكر الخاصة يقيمون دائما في قاعدة الحكومة

« فلما اتسعت الفتوحات لم يبق من الممكن الاكتفاء بذلك الجيش القليل الصعب جمعه وترتيبه ومست الحاجة الى ايجاد صنوف الرجالة ففي عهد السلطان اورخان ائتمر أخوه الوزير الاعظم علاء الدين باشا وخليل باشا الجاندارلي ورتبا خطة لايجاد عسكر دائمي فوضعوا أساس الجند المسمى « يكيجرية » (معناه العسكر الجديد وقد عرّبها العرب بكلمة انكشارية) وأوجبوا أن يكون الزي العسكري مطردًا وملؤا في هذا الجيش من أولاد النصارى الذين ادخلوهم في طاعتهم

قد نشأ بين الانكشارية هؤلاء كثيرمن القواد البرية والبحرية الذين لايسلى ذكرهم ولم يكن في ذلك العهد جيش يضارعه عند أمة من الأمم .

وكان كبيرهم الاعظم يلقب آغا وهو في مقام ناظر الحربية . ومن عاداتهم تقديس القدور التي يطبخ بها وهي تعطى لهم من قبل السلطان ويجتمعون حولها

* * *

وكان من يبرز على أقرانه في الحرب والطعان من الرجّالة والفرسان يكافأعلى ذلك متى بلغ الاربعين او الخامسة والاربعين من العمر فيعطى من البلاد المفتوحة خراج مقاطعة مثل لواء أو قضاء أو خراج قرية واحدة فقط فما كان من الاقطاع تبلغ وارداته من ٣٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ أقجه يسمى تيمارا . وما كانت وارداته من ٢٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ أقجه يسمى زعامة فكل ذي تيمار عليه ان ينفق عن حساب كل ٣٠٠٠ اقجة على راجل واحد . وكل ذي زعامة عليه ان ينفق عن حساب كل ٢٠٠٠٠ أقجة على فارس قادر تام اللأمة . فاذا وقعت حرب كان هؤلاء مع رجالهم المكلفين بنفقاتهم حاضرين مع الملك . ويسمى هؤلاء بالفرسان ذوي الاطيان (الاراضي)وقد بلغ عددهم في عهد السلطان سليمان القانوني مئة وخمسين ألفا وفي عهد محمد الرابع بلغ عددهم مئة وتسعة وسبعين ألفا ومئتين

أما عدد العساكر في تلك الاعصار فكان هكذا: القپوقولى ٧٤١٤٨ والفرسان أولو الاطبان مع فرسان الألايات الممتازة ١٧٤١٩٢ والعساكر البحرية ٥٥٧٢ المجموع ٢٦٣٩١٢ وأما القول بأن القانوني دخل بلاد المجر بثلاثمئة الف مقاتل معهم ٣٠٠ مدفع فهو من روايات المؤرخين الاجانب

في بدء احداث الانكشارية كان الواحد منهم يعطى في اليوم اقجه واحدة والاقجه سكة عثمانية فضية وزن ثلث درهم فضة من عيار التسعين ثم تنزل عيارها فاقتضى ذلك ان يزاد لهم الى ثلاث اقجايات وفي أواخر القرن العاشر زيد لهم الى خمس وفي القرن الحادي عشر زيد لهم سبع ثم زيد لهم في أواخر امرهم الى سبع وعشرين اقجه في اليوم ولم يكن من مساواة في العطاء بل كان بعضهم يأخذ أكثر من بعض. أما آغاهم فكان يأخذ خمس مئة اقجه في اليوم

كان هذا الجيش اسمى جيش في الدنيا ولم يكن يؤوب من فتح الا الى فتح آخر حتى رفع مركز السلطنة العثمانية الى الذروة العليا التي امتازت بها بين الدول ولكن امر الزمان عجيب فان هذا الجيش الذي كان سبب هذه النعم العظيمة مالبث ان طغى واستكبر، واستولى عليه الغرور والاشر، فدخل عليه الفساد من كل باب، وتوصل اليه المكروه بجملة اسباب، فعاد شؤما على الدولة بعد ان كان يمنا، وبؤسا بعد ان كان نعمى، حتى بلغ بعد القرن الثاني عشر مبلغا من تفكك الروابط وشيوع الفوضى وقلة الطاعة وكثرة عدم المبالاة ليس وراءه مبلغ فاصبح بعد تلك البسالة العظيمة التي امتاز بها يكثر فيه الفارون من مواطن الزحف حتى من امام الجيوش التي هي اقل منه عددا

وكانت العسكرية في أوربا قد بدأت تخطو خطوات واسعة في درجات الكمال فيومئذ صرفت وجوه الآمال عن مقابلة الخصوم بالهجوم والفتوح وبقيت الافكار مشغولة بأمر الدفاع عما في اليد لان القوة العسكرية اصبحت على وشك الاضمحلال البتة

جال هذا الامر في فكر سليم الثالث ونظر الى عاقبة امر الدولة اذا ظل زمام المدافعة بيد هؤلاء الانكشارية الذين كثر فيهم الفشل واستولى عليهم الخطل فتبدى

لمرأي ونهض له بقوة . ذلك أنه أحدث عسكرا على قواعد تناسب الزمان والمكان وجعل له عنوان « نظام جديد » وجمع من هذا النظام الجديد ثلاثين ألفا وعزم على الغاء الانكشارية .ولكن هذا النظام الجديد لم يستطع الوقوف أمام بأس الانكشارية الا نحو ست سنين ولم يتمكن سليم الثالث من تلك الامنية العظيمة التي كان يتقاضى الظفر بها بقاء الدولة

لكن الذي لم يتيسر لسليم الثالث تيسر لمحمود الثاني الذي رأى ان الغاء هذه العساكر العظيمة باصدار الاوامر ليس من الممكن وأن هذا الامر لا يتم الا بالتنكيل والتشريد بهم فاستفتى في قتلهم على إثر تمرد و بغي وطغيان فأفتي فيه وتوسل الى اجتثاث هذه الشجرة من أصلها بما هدته اليه الفطنة المتوقدة وكان ذلك في يوم السبت في ١١ ذي القعدة من عام ١٢٤١ هـ - ١٧ حزيران ١٨٢٦ م

«أما آغا الانكشارية حسين آغا فانه كان مقتنعا بفوائد النظام الجديد فاعطي لقب باشا ونصب سر عسكرًا وقت العساكر الجديدة بالعساكر المحمدية المنصورة هكذا وضع أساس النظام الجديد لعسكريتنا وعلى هذا يكون عمر جيشنا الجديد سبعا وثمانين سنة ه .ينقسم تأريخ الجيش الجديد الى ثلاثة أدوار الاول دور القسم، والثاني دور القرعة، والثالث دور التكليف العسكري . فالدور الاول من ١٢٤١ الى ١٢٦٠ أي عبارة عن تسع عشرة سنة كانوا يلمون العسكر ممن صادفوه من الشبان الاقوياء. لم يستأنس الناس في بدء الامر بهذه الطريقة لانهم كانوا قد تعودوا رؤية هيئة الانكشارية وانكروا من هذه الطريقة انها من سنن الافرنج

ولم تكن مدة التجنيد معينة أيضا وفي ١٢٤٤ -١٢٤٥ وقعت الحرب بين الدولة والروس (التي انتهت بمعاهدة ادرنه) فكان من البديهي ان لا تظهر الثمرات المنتظرة من النظام الجديد لقصر المدة وفي تلك الاثناء اخذ لخدمة الدولة المارشال مولتكه الذي ظفر في محاربة ثلاث دول في بحرست سنين واطلع من امارة پروسيا الصغيرة امبراطورية المانيا العظيمة ولكن حالت الحوائل دون الاستفادة من خدمة هذا الرجل العظيم فان الدولة في تلك السنين كانت قد شغلتها حوادث وحروب المورة

والبوسنه والهرسك والتيه دللي ومحمد علي وكان عدد الجيش الجديدهكذا: العساكر المتنظمة ٠٠٠ ٨٠ والرديف ٠٠٠ ١٣٠ والعساكرالبحرية ٥٠٠٠ الجميع ٠٠٠ ٢١٥ وكان سوى هوءلاء نحو من عشرة آلاف من الخيالة المتنظمة ونحو اربعة ألايات من الخيالة العتق .

واتوا بعد ذلك بمعلمين من المانيا لحصل اصلاح في ترتيب الجيش ولكن طريقة القسم كانت لاتزال على حالها فلذلك لم تصل الاصلاحات الى الدرجة المطلوبة ودام الامر على هذا المنوال الى ١٢٦٠ ففي هذه السنة وضع اساس جديد للدولة بمعرفة رشيد باشا الكبير وقرئ خط كلخانه الذي يتضمن هذا الاساس فدخلت عسكريتنا الجديدة في دورها الثاني

من هذا التأريخ ألغيت طريقة القسم ، ووضعت طريقة القرعة ، وحددت مدة العسكرية ، ووضع قانون لاخذ العسكر على هذه الطريقة من قبل ضباط بروسيانيين جعلت بموجبه خدمة العسكر الموظف خمس سنين والرديف سبعا ومن دخل في أسنان العسكرية تسحب قرعته فان اصابته القرعة تلك السنة يوءخذ وان لم تصبه يترك الى السنة التي بعدها . فان لم تصبه مدة السنين الخمس يعفى من الخدمة . وقد قسمت البلاد العثمانية الى دوائر رديفية فأصبح للعسكرية نظام حقا . وفي حرب القريم ظهرت ثمرات عظيمة من هذا النظام . وقسمت الاجناد كلها الى ستة كان كل جند (اردو) فيه حين السلم ستة ألايات رجالة واربعة ألايات خيالة وألاي واحد مدفعي سيار فكان عدد الاجناد حين السلم هكذا : النظامية ٠٠٠ ١٥٠ ونحو من ذلك عدد الرديف بحيث يتكون من النظامية والرديف وقت الحرب ٠٠٠ ٣٠٠

وفي خط كلخانه يوجد نص على أنه يوءخذ العسكر من غير المسلمين ولكن اقتضاءات الزمان منعت من ذلك

وفي عام ١٢٨٦ حدث تحوير في ترتيب العسكرية فجعلت مدة الخدمة ثلاثا للعسكر الموظف ، وسنتين لخدمة الاحتياطية ، وستا للخدمة الرديفية ، وثمانيا المستحفظية وكان عدد الاجناد في ذلك العهد هكذا : النظامية والاحتياطية ٠٠٠ ٢٣٧ والرديف ٠٠٠ ٣٥٠ أو يزيد على هذا المقدار . وكان عدد أجناد الدولة كلها في زمن محاربة

روسية ٧٥٩٠٠٠ ولكن لاستمرار الحرب ثلاث سنين وضياع كثير من الارواح تضعضع هذا الجيش ومست الحاجة بعد ذلك لتحويرات فيه ففي عام اربع وتسعين حوّل اسم السر عسكرية الى اسم نظارة الحربية وقسمت اللوازم والاستعدادات العسكرية الى شعب ودوائر وأخذت الاجناد شكلا آخر جديدا . وفي عام ثمان وتسعين اتي بجماعة من ضباط الالمان من صنوف مختلفة في الجيش الالماني وأخذت آراؤهم في الاصلاح العسكري وكان برأسهم كهلر باشا . و بعد سنة جيء بالبكباشي فوندرغولج باشا فأرشد هذا الى طرق كثيرة للاصلاح العسكري بالرغم عما كان يحول بينه و بين الاصلاح من الموانع التي هي معهودة ومعروفة في ذلك العهد الى هذا الرجل يعزى النظر في ترتيب الدروس أحسن ترتيب في المدرسة الحربية ، واليه يعزى السبب في تغيير طريقة القرعة ووضع قانون أخذ العسكر المعمول به الى عهدنا هذا

**

« أما حرمان أبناء وطننا غير المسلمين من خدمة العسكرية مع أن لهم حقا بالشرف الذي يحصل من خدمة الاوطان فكان خطاء من حكومتنا لا يعفى عنه وكان من دواعي انكسار خاطر هؤلاء الشركاء في الوطن والاغرب من ذلك حرمان أهل هذه العاصمة من هذا الشرف ايضا

فمن موجبات الشكر أن أول شيء تفكرت فيه حكومتنا بعد التغير الجديد السعيد في الوطن هو الاسراع لدفع هذا الخطأ المنافي لقانون الأساسي

هذا هو تاريخنا العسكري ومنذ الآن سينال أبناء وطننا من غير المسلمين نصيبهم من شرف الدفاع عن حياض الوطن ، ويقفون مع زملائهم المسلمين صفاً واحدا أمام كل عدو معرضين حياتهم للمقاومة في سبيل مقصد واحد هو إعلاء شأن الرابطة الوحيدة التي تضم قلوب جميع العثمانيين حول وطنهم العزيز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمران العربي

﴿ وصف الجامع الاموي ﴾ (*)

هو من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه · ومن عجيب شأنه انه لاتنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف · انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك (رح) ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص اثني عشر ألفا من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامتثل أمره مذعنا بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه و بلغت الغاية في التأنق فيه وانزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجارا وفرعت اغصانا منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشي العيون وميضاو بصيصا وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلي الاسدي في جزء وضعه في ذكر بنائه مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرين ألف دينار ومئتا ألف دينار فكان مبلغ الجميع احدى عشر ألف ألف دينار ومئتا ألف دينار · والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة · الباقية منه في ايدي النصارى وأدخلها فيه لانه كان قسمين قسما للمسلمين وهو الشرقي وقسما للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد في الجهة الغربية فانتهى الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي

(*) نقلا عن رحلة ابن جبير من وصفه للجامع الاموي اذ زاره في سنة ٥٨٠

وانتهى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصيروه مسجداً وبقي النصف المصارع عليه وهو الغربي كنيسة بأيدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا ذلك فانتزعه منهم قهراً وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهدم كنيستهم يجن فبادر وقال أنا أول من يجن في الله و بدأ الهدم بيده فبادر المسلمون وا كملوا هدمه

ذرعه في الطول من الشرق الى الغرب مئتا خطوة وهما ثلاثمئة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة وهي مئتا ذراع فيكون تكسيره من المراجع الغربية اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ان مسجد رسول الله صلى الله عليه من القبلة الى الشمال . و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة والخطوة ذراع ونصف وقد قامت على ثمانية وستين عموداً منها اربعة وخمسون سارية وثماني أرجل جصية تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة معها في الجدار الذي يلي الصحن وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالا غريبة قائمة في البلاط الاوسط تقل قبة الرصاص مع القبة التي تلي المحراب سعة كل رجل منها ستة عشر شبراً وطولها عشرون شبراً وبين كل رجل ورجل في الطول سبع عشرة خطوة وفي العرض ثلاث عشرة خطوة فيكون دور كل رجل منها اثنين وسبعين شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته الشرقية والغربية والشمالية سعته عشرة خطى وعدد قوائمه سبع وأربعون منها اربع عشرة رجلا من الجص وسائرها سوار فيكون سعة الصحن حاشا المسقف القبلي والشمالي مئة ذراع . وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص

واعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه سامية في الهواء عظيمة الاستدارة قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها يتصل من المحراب الى الصحن وتحته ثلاث قباب قبة تتصل بالجدار الذي الى الصحن وقبة تتصل بالمحراب وقبة تحت قبة الرصاص بينهما . والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه فاذا استقبلتها ابصرت منظراً رائعاً ومرأى هائلا يشبهه بنسر طائر كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه ونصف جدار البلاط

على يمين النصف الثاني على شمال جناحا وسمة هذا الغراب من جهة الصحن ثلاثون خطوة فهم يعرفون هذا الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه . ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو كأنها معلقة من الجو . والجامع مائل الى الجهة الشمالية من البلد وعدد شمسياته الزجاجية المذهبة الملونة اربع وسبعون منها في القبة التي تحت قبة الرصاص عشر وفي القبة المتصلة بالمحراب مع مايليها من الجدر أربع عشرة شمسية وفي طول الجدار عن يمين المحراب ويساره اربع وأربعون وفي القبة المتصلة بجدار الصحن ست وفي ظهر الجدار الى الصحن سبع وأربعون شمسية

وفي الجامع ثلاث مقصورات مقصورة الصحابة رضي الله عنهم وهي أول مقصورة وضعت في الاسلام وضعها معاوية بن أبي سفيان (رض) وبازاء محرابها عن يمين مستقبل القبة باب حديد كان يدخل معاوية (رض) الى المقصورة منه الى المحراب وبازاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء (رض) وخلفها كانت دار معاوية (رض) وهي اليوم سماط عظيم للصفارين يتصل بطول جدار الجامع القبلي ولا سماط أحسن منظرا منه ولا اكبر طولا وعرضا . وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخيل برسمه وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكادين وطول المقصورة الصحابية المذكورة اربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي احدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة الى الجامع حسبما تقدم ذكره وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة وكانت مقصورة الصحابة أولا في نصف الخط الاسلامي من الكنيسة وكان الجدار حيث اعيد المحراب في المقصورة المحدثة فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجدا صارت مقصورة الصحابة طرفا في الجانب الشرقي وأحدثت المقصورة الاخرى وسطا حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال وهذه المقصورة المحدثة اكبر من الصحابية . وبالجانب الغربي بازاء الجدار مقصورة اخرى هي برسم الحنفية يجتمعون فيها للتدريس وبها يصلون وبازائها زاوية محدقة بالاعواد المشرجبة كأنها مقصورة صغيرة وبالجانب الشرقي في زاوية أخرى على هذه الصفة هي كالمقصورة كان وضعها للصلاة فيها

أحد امراء الدولة التركية وهي لاصقة بالجدار الشرقي. و بالجامع عدة زوايا على هذا الترتيب يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس وهي من جملة مرافق الطلبة

وفي الجدار المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات القبلية عشرون بابا متصلا بطول الجدار قد علتها قسي جصية مخرمة كلها على هيئة الشمسيات فتبصر العين من اتصالها اجمل منظر واحسنه

والبلاط المتصل بالصحن المحيط بالبلاطات من ثلاث جهات على اعمدة وعلى تلك الاعمدة ابواب مقوسة تقلها أعمدة صغار تطيف بالصحن كله . ومنظر هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها وفيه يجتمع أهل البلد وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من شرق الى غرب من باب جيرون الى باب البريد فمنهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ لايزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع الى انقضاء صلاة العشاء الآخرة ثم ينصرفون . ولبعضهم بالغداة مثل ذلك . وا كثر الاحتفال انما هو بالعشي فيخيل لمبصر ذلك انها ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم لايزالون على ذلك كل يوم وأهل البطالة من الناس يسمونهم حراسين

وللجامع ثلاث صوامع واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد تحتوي على مسا كن متسعة وزوايا فسيحة راجعة كلها الى اغلاق يسكنها اقوام من الغرباء اهل الخير . والبيت الاعلى منها كان معتكف ابي حامد الغزالي رحمه الله و يسكنه اليوم الفقيه الزاهد ابو عبد الله بن سعيد من اهل قلعة يحصب المنسوبة لهم وهو قريب لبني سعيد المشتهرين بالدنيا وخدمتها . وثانية بالجانب الغربي على هذه الصفة وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف بباب الناطفيين

وفي الصحن ثلاث قباب احداها في الجانب الغربي منه وهي ا كبرها وهي قائمة على ثمانية اعمدة من الرخام مستطيلة كالبرج مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة كأنها الروضة حسنا وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة يقال انها كانت مخزنا لمال الجامع وله مال عظيم من خراجات ومستغلات تنيف على

ما ذكر لنا على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة وهي خمسة عشر الف درهم مؤمنية أو نحوها . وقبة أخرى صغيرة في وسط الصحن مجوفة مثمنة من رخام قد ألصق أبدع إلصاق قائمة على اربعة اعمدة صغار من الرخام وتحتها شباك حديد مستدير وفي وسطه انبوب من الصفر يمج الماء الى علو فيرتفع وينثني كأنه قضيب من لجين يشره الناس لوضع افواههم فيه للشرب استظرافا واستحسانا ويسمونه قفص الماء . والقبة الثالثة في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية اعمدة على هيئة القبة الكبيرة لكن اصغر منها

وفي الجانب الشمالي من الصحن باب كبير يفضي الى مسجد كبير في وسطه صحن قد استدار فيه صهريج من الرخام كبير يجري الماء فيه دائما من صفحة رخام ابيض مثمنة قد قامت وسط الصهريج على رأس عمود مثقوب يصعد الماء منه اليها ويعرف هذا الموضع بالكلاسة ويصلي فيه اليوم صاحبنا الفقيه الزاهد المحدث ابو جعفر الفنكي القرطبي ويتزاحم الناس على الصلاة فيه خلفه التماسا لبركته واستماعا لحسن صوته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي الى مسجد من أحسن المساجد وابدعها وضعا وأجلها بناء يذكر الشيعة انه مشهد لعلي بن أبي طالب (رض) وهذا من أغرب مختلقاتهم . ومن العجيب انه يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالي مع اول البلاط الغربي مجلل بستر في اعلاه وامامه ستر ايضا منسدل يزعم اكثر الناس انه موضع لعائشة (رض) وانها كانت تسمع الحديث فيه وعائشة (رض) في دخول دمشق كلي (وض) لكن لهم في علي (رض) مندوحة من القول وذلك انهم يزعمون انه روئي في المنام مصليا في ذلك الموضع فبنت الشيعة فيه مسجدا واما الموضع المنسوب لعائشة (رض) فلا مندوحة فيه وانما ذكرناه لشهرته في الجامع

وكان هذا الجامع المبارك ظاهرا و باطنا منزلا كله بالفصوص المذهبة مزخرفا بأبدع زخاريف البناء المعجز الصنعة فادركه الحريق مرتين فتهدم وجدد وذهب اكثر رخامه فاستحال رونقه فأسلم مافيه اليوم قبلته مع الثلاث قباب المتصلة بها .

ومحرابه من اعجب المحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سوير يات مفتولات فتل الاسورة كأنها مخروطة لم ير شيء اجمل منها و بعضها حمر كأنها مرجان . فشأن قبلة هذا الجامع المبارك مع مايتصل بها من قبابه الثلاث واشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه واتصال شعاع الشمس بها وانعكاسه الى كل لون منهـا حتى ترتمي الى الابصار منه اشعة ملونة يتصل ذلك بجداره القبلي كله عظيم لايلحق وصفه ولا تبلغ العبارة بعض مايتصوره الخاطر منه والله يعمره بمنه

وفي الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان (رض) وهو المصحف الذي وجه به الى الشام . وتفتح الخزانة كل يوم اثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقبيله ويكثر الازدحام عليه

وله أربعة أبواب (باب) قبلي ويعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع له أعمدة عظام وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم وله مرأى رائع ومنه يفضي الى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين وهي كانت دار معاوية (رض) وتعرف بالخضراء (وباب) شرقي وهو أعظم الابواب ويعرف بباب جيرون (وباب) غربي ويعرف بباب البريد (و باب) شمالي ويعرف بباب الناطفيين وللشرقي والغربي والشمالي ايضا من هذه الابواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل الكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون يخرج من هذا الباب الى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقسومة لها ستة أعمدة طوال وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم نقل الى القاهرة و بازائه مسجد صغير ينسب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه و بذلك المشهد ماء جار . وقد انتظمت امام البلاط ادراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف دونه سموا قد حفته اعمدة كالجزوع طولا وكالاطواد ضخامة وبجانبي هذا الدهليز اعمدة قد قامت عليها شواوع مستديرة فيها الحوانيت

المتنظمة للعطارين وسواهم وعليها شوارع أخر مستطيلة فيها الحُجَر والبيوت للكراء مشرفة على الدهليز وفوقها سطح يبت به سكان الحُجَر والبيوت

وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء لم ينعطف عليها تعتيب وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء ازيد من القامة . . . . وحوله انابيب صغار ترمى الماء الى علو فيخرج عنها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من ان يلحقه الوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر قد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين مصورين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما ، احدهما تحت اول باب من تلك الابواب والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازيين يمدان عنقيهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الاوهام سحرا وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لايزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول . ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة امامها شعاعها فلاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها . وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسمونها الناس المنجانه

ودهليز الباب الغربي فيه حوانيت البقالين والعطارين وفيه سماط لبيع الفواكه وفي اعلاه باب عظيم يصعد اليه على ادراج وله اعمدة سامية في الهواء وتحت الادراج سقايتان مستديرتان سقاية يمينا وسقاية يسارا لكل سقاية خمسة انابيب ترمي الماء في حوض رخام مستطيل . ودهليز الباب الشمالي فيه زوايا على مصاطب محدقة بالاعواد المشرجبة هي مخاصر لمعلمي الصبيان . وعن يمين الخارج في الدهليز خانقة مبنية للصوفية في وسطها صهريج ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه والصهريج الذي في وسطها يجري الماء فيه ولها مطاهر يجري الماء في بيوتها

وعن يمين الخارج ايضا من باب البريد مدرسة للشافعية في وسطها صهريج يجري الماء فيه ولها مطاهر على الصفة المذكورة وفي الصحن بين القباب المذكورة عودان متباعدان يسيرا لهما رأسان من الصفر مستطيلان مشرجبان قد خرما أحسن تخريم يسرجان ليلة النصف من شعبان فيلوحان كأنهما ثريتان مشتعلتان . واحتفال اهل هذه البلدة لهذه الليلة اكثر من احتفالهم بسبع وعشرين من رمضان المعظم .

آثار علمية أدبية

تربية البنات (*)

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي	في حب مصر كثيرة العشاق
اني لأحمل في هواك صبابة	يامصر قد خرجت عن الاطواق
لهفي عليك متى أراك طليقة	يحمي كريم حماك شعب راق
وأديب قوم تستحق يمينه	قطع الانامل أو لظى الاحراق

(*) قصيدة لشاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم انشدها في حفلة اقيمت ببورسعيد لاعانة مدرسة البنات وقد سلك شاعرنا في هذه القصيدة مسلكا في انتقاد الاخلاق والعادات كان من الادلة الكثيرة على تفوق حافظ وعسى ان يجنح الشاعر للتوفر على قرض هذا الاسلوب من الشعر فانه من خير الادوية لادواء الناس

كلف بمحمود الخلال متيم ... بالبذل بين يديك والانفاق

اني لتطربني الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاق

ويهزني ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزة المشتاق

ماالبابلية في صفاء مزاجها ... والشرب بين تنافس وسباق

والشمس تبدو في الكؤوس وتختفي ... والبدر يشرق من جبين الساقي

بألذ من خلق كريم طاهر ... قد مازجته سلامة الاذواق

فاذا رزقت خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسم الارزاق

فالناس هذا حظه مال. وذا ... علم. وذاك مكارم الاخلاق

والمال ان لم تدخره محصنا ... بالعلم كان نهاية الاملاق

والعلم ان لم تكتنفه شمائل ... تعليه كان مطية الاخفاق

لاتحسبنّ العلم ينفع وحده ... مالم يتوّج ربه بخلاق

كم عالم مدّ العلوم حبائلا ... لوقيعة وقطيعة وفراق

وفقيه قوم ظل يرصد فقهه ... لمكيدة أو مستحل طلاق

يمشي وقد نصبت عليه عمامة ... كالبرج لكن فوق تلّ نفاق

وطبيب قوم قد أحل لطبه ... مالاتحل شريعة الخلاّق

قتل الاجنة في البطون وتارة ... جمع الدوانق من دم مهراق

أغلى وأثمن من تجارب علمه ... يوم الفخار تجارب الحلاق

ومهندس للنيل بات بكفه ... مفتاح رزق العامل المطراق[1]

متعنت تندى وتيبس كفه ... بالماء طوع الاصفر البرّاق

لاشيء يلوي من هواه خده ... في السلب حد الخائن السرّاق

(١) الذي يكثر طرق أبواب الرزق

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

يلهو ويلعب بالعقول بيانه فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يجّ لعابه سما وينفثه على الاوراق
يرد الحقائق وهي بيض نصَّع قدسية علوية الاشراق
فيردها سودًا على جنباتها من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الخلق المطهر نفسه فحياته ثقل على الاعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه ببيانه ويراعه السباق

***

من لي بتربية النساء فانها في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق
الأم روض ان تعهده الحيا بالري أورق أيما ايراق
الام أستاذ الاساتذة الأولى شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن افعال الرجال لواهيا عن واجبات نواعس الاحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون رب السيف والمزارق
كلا ولا أدعوكم ان تسرفوا في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرا خوف الضياع تصان في الاحقاق
ليست نساؤكم اثاثا يقتنى في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الازمان في أدوارها دولا وهن على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلي الحياء الباقي

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ فلسفة النشوء والارتقاء ﴾

وهو الجزء الاول من مجموعة الدكتور شبلي شميل الشهير . صفحاته ٣٦٧ بقطع المنار وحروفه . طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٠ ويطلب من مؤلفه بمصر

اهدى الينا صديقنا الدكتور شبلي شميل هذا الكتاب الذي اعاد طبعه مرة ثانية في هذه الايام لنفاد الطبعة الاولى ولرغبة الكثيرين من أصدقائه في ذلك وقد اثبت على صفحته الاولى هذه الفقرة « طالع هذا الكتاب بكل تمعن ولا تطالعه إلاّ بعد أن تطلق نفسك من أسر الاغراض لتلاتم عليك وانت واقف تطل على العالم من شرفة عقلك تلمس الحقيقة من وراء استارها » ونحن لم نتمكن من التوفر على مطالعته لنبدي رأينا فيه بحرية واخلاص ولكن هذا لا يمنعنا ان نقول ان فلسفة النشوء والارتقاء لاتنافي الاسلام بجملتها كما أنها لاتلتئم معه ومع العقل في تفصيلاتها ولم يكن لصديقنا الدكتور ولا لواضعيها اذ وضعوها مطمع في أن تكون قضية مسلمة بكلياتها وجزئياتها

ولو ان الدكتور شميلا اقتصر في كتابه هذا على شرح فلسفة داروين وهكسلي وآرائهما في أصل الانواع وأدلتهما على تحولها وارتقائها وتأييد مذهبهما بآرائه الخاصة دون التعرض للشرائع الآلهية والأديان المتبعة لتقبله اهل الاستعداد له بقبول حسن أما محاولة الدكتور لارادة القراء على الامرين فطمع في غير مطمع وهذه الحكومة الفرنسية على تشددها في محاربة زعماء الدين بقوتي الدليل والاكراه لم تتمكن من نزع الدين من النفوس على كونه دينا تسليميا بحتا لا يسوغ للعقل ان ينكر منه شيئا وان كان غير معقول فما بالك بدين الاسلام الذي ينبذ كل منكور عقلا بل هو الدين الذي فك العقول من عُقُلها واشرع سبيل استقلال الفكر وارشد الى النظر

في أسرار الكون والحكم على الاشياء بالعقل دون الهوى لاجرم ان ديننا هذا مكانه من أفئدة أهله لايقوى على زلزاله منها شبهات مرجعها آراء ومرويات لرجال الدين ربما يكون الدين بريئا منها

لواتيح للدكتور شميل ان ينظر في الاسلام نظرة تنفذ الى صميمه على الشرط الذي وضعه لقراء كتابه لآب اليوم وهو مسلم قلبا ولسانا وها هو اليوم على كونه لم يُعن بنفهم فلسفة الاسلام بعض عنايته بحل طلسمات مذهب دارون نراه — وهو المنصف المستقل الفكر — يقول إن القرآن هو أحكم الشرائع التي يتبعها البشر وان محمداً أعظم رجل في التأريخ حتى انني قلت له مرة : اذاً انت مسلم ؟ فقال : بل محمدي ! ! بل هذه كلمته في خاتمته الحفيلة التي هي صورة مصغرة للكتاب قال (ص ٣٥٢)

« خذ مثالا شريعة القرآن فانها بين الشرائع الدينية الشريعة الوحيدة الاجتماعية المستوفاة (١) التي ترمي الى أغراض دنيوية حقيقية بمعنى أنها لم تقتصر على الاصول الكلية الشائعة بين جميع الشرائع بل اهتمت اهتماما خاصا بالاحكام الجزئية فوضعت أحكام المعاملات حتى فروض العبادات ايضا وهي من هذه الجهة شريعة عملية مادية حتى ان الجنة نفسها لم تخرج فيها من هذا الحكم من اشجار واثمار وأنهار الى آخر ماهنالك وطالما جرى اتباعها عليها صلحت امور دنياهم على سواهم . الخ » ثم ذكر بعد ذلك مزج علماء المسلمين لنظريات الفلسفة اليونانية في كلامهم حتى صرفوا بذلك الدين عن حقيقته وحولوه عن غايته « الى المرامي المجردة والمنازع النظرية وسائر علوم الجدل الادبية المقامة عليها حتى الى مالاعلاقة له بالدين مطلقا (٢) »

---

(١) شريعة موسى مادية عملية أيضا ولكنها غير مستوفاة . وشريعة عيسى وان كانت حكماً ومواعظ تعتبر اصولا كلية الا انها في جملتها نظرت الى العالم الروحاني اكثر من الحياة الدنيا . بخلاف شريعة محمد فانها نظام اجتماعي عملي مادي قانوني حقيقي . اه من هامش الكتاب

(٢) ان الاسئلة التي ترد على مجلة المنار من اطراف العالم الاسلامي والتي يتجشم صاحب المنار المفضال مشقة الرد عليها مضطرا تدلك على مبلغ تقهقر القوم في فهم الدين (وبعد ان ذكر امثلة من تلك الاسئلة قال) وغير ذلك من الاسئلة التي تضطرب لها عظام النبي في قبره والقرآن وشريعته بريئان منها لو انهم يفقهون . اه من هامش الكتاب

الى غير ذلك من الاقوال التي تدل على ان الدكتور الفاضل انما هو منكر للغواشي التي علقت بالدين ساخط على تقاليده وخلط كثير من أهله بين جوهره ونظرياتهم ونحن نقر الدكتور على هذا الرأي بل نحن إنما نكتب ونخطب سعيا وراء هدم تلك التقاليد التي تتبرأ منها ومن المصرين عليها

والكتاب مطبوع طبعا متقنا على ورق جيد ويطلب من مؤلفه بميدان توفيق بمصر



﴿ ارشاد الاريب ، الى معرفة الاديب ﴾

وهو القسم الاول من الجزء الثالث من الكتاب تأليف ياقوت الرومي الشهير المتوفى في القرن السابع وعني بنسخه وتصحيحه الدكتور مرجيلوث الاستاذ بجامعة اكسفورد صفحاته ٢١٥ بقطع المنار، طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩١٠

اهدى الينا الدكتور مرجيلوث الجزء الذي أصدره في هذا الشهر من هذا المعجم الجامع النافع وهو يتضمن تراجم اثنين واربعين واحدا من أعلام الادب اولهم حبشي بن محمد بن شعيب الشيباني من أهل واسط المتوفى في منتصف القرن السادس وآخرهم الحسن بن ميمون النصري . ولبعضهم تراجم مطولة تحتوي على عشرات الصفحات كترجمة السيرافي النحوي المعروف فهي زيادة على اربعين صفحة، ولآخرين منهم تراجم مختصرة جدا لاتبلغ الا اسطرا قليلة كترجمة الحسن بن علي المدائني النحوي . والتراجم مرتبة على حروف المعجم ومن يلاحظ ان هذا الجزء أو القسم لم يتم به حرف الحاء يعلم ان هذا الكتاب من أحفل موسوعات الادب في تراجم مشهوري ادباء العرب

واحفل مترجمي هذا الجزء سيرة هم من أعلام النحاة وربما يتعجب أدباء هذا العصر اذ يسمعون هذا لانهم يرون نحاتهم صارفين أيام حياتهم في تتبع المناقشات العقيمة وتفهم الاختلافات السقيمة وان احدهم ليحار حيرة الضب اذ عرض له أن يكتب كتابا الى أحد خلطائه أو رهطه ولو اطلع مطلع على مايكتبون لسخر منهم واستهزأ بهم ولأخذته الحيرة اذ يرى كثرة اللحن والتراكيب السخيفة والخروج فيما يكتبون

عن الحدود والرسوم التي افنوا أعمارهم في تفهمها وتفهيمها ولكن لاعجب في ذلك فان أئمة النحاة في الماضي كانوا يعدون النحواداة أو مرقاة تتوقل فهومهم بها الى الوقوف على « اسرار البلاغة» و« دلائل الاعجاز» حتى تصير البلاغة ذوقالهم فيتمكنون من فهم كلام الله فما دونه في البلاغة ويتمرنون على احتذاء الكلام البليغ في المكتوبات والخطب ولكن نحاة هذا العصر حسبوا ان النحو غاية لا وسيلة على تحكمهم في الكلام على الغايات والوسائل فصرفوا الاشياء عن أوضاعها وحرفوا الكلم عن مواضعه فأصبحوا لا قيمة لهم ولا احترام وقد كانوا اجلاء مكرمين وصناعتهم من اشرف الصناعات

وقد اعجبتني طريقة المؤلف في التراجم فهو يذكر اسم الرجل ونسبه وموطنه وتحصيله وماتفرد به وما نقم الناس منه وماوقع له مع أدباء عصره ويثبت له ما يؤثر من شعره كل ذلك بأسلوب سهل حسن الانشاء ولعلنا ننشر في المنار المناظرة التي جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي النحوي في تفضيل النحو على المنطق وهي مثبتة في هذا الجزء عسى ان يكون في نشرها عظة بالغة لنحاة عصرنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وياقوت الرومي هذا أعرف من أن يعرّف وهو مؤلف هذا المعجم ومعجم البلدان ومعجم الشعراء وغيرذلك من الموسوعات التي تعجز عن تأليفها الجماعات وهو من الشعراء المجيدين ومن احسن مايروى له قوله :

تنكّر لي مذ شبت دهري فأصبحت معارفه عندي من النكرات
اذا ذكرتها النفس حنّت صبابة وجادت شؤون العين بالعبرات
الى ان اتى دهر يحسن مامضى ويوسعني من ذكره حسرات
فكيف ولمّا يبق من كأس مشربي سوى جُرَع في قعرها كدرات
وكل إناء صفوه في ابتدائه ويرسب في عقباه كل قذاة

والكتاب مطبوع طبعا نظيفا على اجود ورق . ومجلد تجليدا متقنا وكنا نتمنى ان يضع الناشر ارقاما للمترجمين تدل على عددهم في كل جزء فان ذلك من المحسنات

وان يعني بوضع فهارس لجميع الاعلام والبلدان التي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع ماالديه من الاجزاء واننا نشكر له عنايته بنشر هذا السفر العظيم فقد خدم بذلك لغتنا الشريفة أجل خدمة

* * *

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كتب قطعا ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجملها ومعانيها مما يحفظ ويقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يحبون التنميق والتزويق وتبهرهم زخرفة اللفظ وغرّ الكاتب تلك النعوت التي كانت تنعته بها جريدة المؤيد فسارع الى جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسمه و بترجمة له ملأت قسما كبيرا من الكتاب !!!

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد و بضع مقالات فلم نعرف له منحىً خاصا يتوخى القصد اليه فيما يكتب وينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع الصناعتين ليس من سرّاق الشعر فقط بل هو من سرّاق النثر أيضا ومن قرأ مقالته « مدينة السعادة : ص ٣٨ » التي يدل بها ويفخر وكان قارئا قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي أنطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اغتصبها من سواه وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التغيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب، وكذلك مقالته «غرفة الاحزان : ص١٤٣» فانها ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لنقولا افندي الحداد، ومقالته « اين الفضيلة : ص١٥ » مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضا، ومقالته «الكأس الاولى : ص ٥ » اخذ موضوعها من قصيدة الشيخ نجيب الحداد عنوانها في الجرعة الأولى البلاء : ص٥٧ ج ١ » من القسم الشعري من كتاب مجالي الغرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى و بعضها معنى ولفظا كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقته لكلمة زوج صخر اخي الخنساء «اني اصبحت لا حيا فأرجى ولاميتا فأنسى » (ص٢٨) وسرقته لبيت البكري المعروف

وان يعني بوضع فهارس لجميع الاعلام والبلدان التي في الكتاب ولعله يفعل بعد طبع جميع ما لديه من الاجزاء وانا نشكر له عنايته بنشر هذا السفر العظيم فقد خدم بذلك لغتنا الشريفة أجل خدمة

* * *

﴿ النظرات ﴾

كان الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي كتب قطعا ومقالات في جريدة المؤيد عني بانتقاء الفاظها وجملها ومعانيها مما يحفظ ويقرأ فاستحسنها فريق من الناس الذين يحبون التنميق والتزويق وتبهرهم زخرفة اللفظ وغرّ الكاتب تلك النعوت التي كانت تنعته بها جريدة المؤيد فسارع الى جمع تلك القطع وطبعها في كتاب مصدر برسمه و بترجمة له ملأت قسما كبيرا من الكتاب !!!

قرأنا لهذا الكاتب الجديد والشاعر القديم بعض قصائد و بضع مقالات فلم نعرف له منحىً خاصا يتوخى القصد اليه فيما يكتب وينظم وظهر لنا أن هذا الشاعر او الكاتب او الجامع الصناعتين ليس من سرّاق الشعر فقط بل هو من سرّاق النثر أيضا ومن قرأ مقالته « مدينة السعادة : ص ٣٨ » التي يدل بها ويفخر وكان قارئا قصة « الكوخ الهندي » لفرح افندي أنطون علم ان بضاعة الكاتب مزجاة وآراءه قد اقتصبها من سواه وانه ليس له في مثل هذه المقالة الا التغيير والتبديل في نسق الكتابة واسلوب الكاتب، وكذلك مقالته «غرفة الاحزان : ص١٤٣» فانها ملخصة من قصة « حواء الجديدة » لنقولا افندي الحداد، ومقالته « اين الفضيلة : ص١٥ » مأخوذة من قصة الكوخ الهندي لفرح افندي انطون ايضا، ومقالته «الكأس الاولى : ص ٥ » اخذ موضوعها من قصيدة الشيخ نجيب الحداد عنوانها في الجرعة الأولى البلاء : ص٥٧ ج ١ » من القسم الشعري من كتاب مجالي الغرر وغير ذلك من القطع الكثيرة التي سرق بعضها معنى و بعضها معنى ولفظا كما سيأتي بيانه مثال ذلك سرقته لكلمة زوج صخر اخي الخنساء «اني اصبحت لا حيا فأرجى ولا ميتا فأنسى » (ص٢٨) وسرقته لبيت البكري المعروف

أشعرة في الرأس أم أول خيط الكفن

اخذه فقال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص١١٥)

وقد كنت نصحت للمنفلوطي يوم كان شاعرا ان يتجنب السرقة في شعره وذلك في مقالة نشرتها في (ص٨٥٩م٣١) من المقتطف بعنوان « نقد الشعر » بعد أن نشر فيه المنفلوطي قصيدة عنوانها « من القصر الى القبر » (ص٢٥) من مقدمة النظرات اغار بها على اربعة ابيات من قصيدة المعري التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده » وحشرها بين بيوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يعمل بنصحي لانه لو عمل به لكان اليوم قفرا من النعوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار غيره وأساليب سواه

وأريد أن أنبه هنا الى أمر ربما خفي على أولئك المخدوعين بلفظ المنفلوطي وهو ان كتابة المنفلوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة « الغد » (ص١) وهي من أشهر مقالاته فانك تجده جال فيها في دائرة ضيقة لم يخرج بها عن قول زهير

واعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

وأية فائدة يجني القارىء من حكاية أقوال في الغد خلاصتها انه أمر غيبي لا يعلم ماسيكون به الا الله تعالى ؟ على انه قد سرق أكثر معانيها من مقالة لفيكتور هوجو في نابليون الثاني راجع (ص١٠) من كتاب بلاغة الغرب ومقالة « المستقبل لله » (ص٩٨) من منتخبات الشيخ نجيب الحداد، وان مقالة « العلماء والجهلاء » (ص٣٢٣) التي يفضل فيها خلط السوقة الذي يسميه علما على تحقيق العلماء والفلاسفة دليل على انه لا يعرف من العلم الا تمحلات الازهر اللفظية التي عرفها فألفها ومن ذا الذي يستسهل الزعم بأن اختراع التلغراف وا كتشاف الكهرباء والراديوم وغير ذلك مما لا محل لذكره هو دون مايقع من الكلمات الصحيحة في هذيان الدهماء ولغطهم ؟

وكذلك مقالته « يوم الحساب : ص ١٠٦ » فانها لاتخرج عن فحوى قصة من كتاب قصص الانبياء وغيره من الاسرائيليات المدسوسة على الاسلام وائمته من حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن ران على قلوبهم لحسنة فذة مع ان الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا إنهم عن

أشعرة في الرأس أم　　أول خيط الكفن

اخذه قال عن الشعرة البيضاء في رأسه « أو خيط من خيوط الكفن » (ص١١٥)

وقد كنت نصحت للمنفلوطي يوم كان شاعرا ان يتجنب السرقة في شعره وذلك في مقالة نشرتها في (ص٨٥٩م٣١) من المقتطف بعنوان «نقد الشعر» بعدأن نشرفيه المنفلوطي قصيدة عنوانها «من القصر الى القبر» (ص٢٥) من مقدمة النظرات اغار بها على اربعة ابيات من قصيدة المعري التي مطلعها « أحسن بالواجد من وجده » وحشرها بين بيوت قصيدته ولكنه لم يستطع أن يعمل بنصحي لانه لو عمل به لكان اليوم قفيرا من النعوت التي جاد بها عليه المؤيد فهو شاعر وكاتب ولكن بأفكار غيره وأساليب سواه

وأريد أن أنبه هنا الى أمر ربما خفي على أولئك المخدوعين بلفظ المنفلوطي وهو ان كتابة المنفلوطي خالية من كل فكر للكاتب خذ مثلا مقالة «الغد» (ص١) وهي من أشهر مقالاته فانك تجده جال فيها في دائرة ضيقة لم يخرج بها عن قول زهير

واعلم ما في اليوم والأمس قبله　　ولكنني عن علم ما في غد عمي

وأية فائدة يجني القارىء من حكاية أقوال في الغد خلاصتها انه أمر غيبي لا يعلم ماسيكون به الا الله تعالى ؟ على انه قد سرق أكثر معانيها من مقالة لفيكتور هوجو في نابليون الثاني راجع (ص١٠) من كتاب بلاغة الغرب ومقالة « المستقبل لله » (ص٩٨) من منتخبات الشيخ نجيب الحداد، وان مقالة «العلماء والجهلاء» (ص٣٢٣) التي يفضل فيها خلط السوقة الذي يسميه علما على تحقيق العلماء والفلاسفة دليل على انه لا يعرف من العلم الا تمحلات الازهر اللفظية التي عرفها فألفها ومن ذا الذي يستسهل الزعم بأن اختراع التلغراف وا كتشاف الكهرباء والراديوم وغير ذلك مما لا محل لذكره هو دون مايقع من الكلمات الصحيحة في هذيان الدهماء ولغطهم ؟

وكذلك مقالته « يوم الحساب : ص ١٠٦ » فانها لاتخرج عن فحوى قصة من كتاب قصص الانبياء وغيره من الاسرائيليات المدسوسة على الاسلام وائمته من حكاية العجائب عن يوم الحساب ونجاة كثير ممن ران على قلوبهم لحسنة فذة مع ان الله يتوعد هؤلاء بأشد العقوبات ويقول في شأنهم « كلا إنهم عن

وبهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالو الجحيم » ولكن المنفلوطي يصادم هذا النص الصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين مرطلا في حياض المآثم ا كثر ممن وصفه المنفلوطي بقوله « لايتقي مأثما ولايهاب منكرًا ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجمامن مجامع الفسق الاعلى موعد اللقاء » (ص ١٠٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لأنه كان يجود على رب اسرة معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضى لانظام لها جلت حكمته وتعالى عن وهم الواهمين علوا كبيرا. ومما دلنا على أن آداب المنفلوطي ليست على حال من الكمال يغبط عليها وأن علمه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناجيان ويقول اولهما لآخرهما انك أفسدت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تحيي الاسلام فقتلته وليس هذا القول مما يلتئم مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المنفلوطي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة « الشعر البارد: ص ١١» وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شغفه الزائد بالشعر وانه يسمي الشعر الذي لايستحسنه « الشعر البارد » فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدته و يسمى «المختارات»؟ واذا كان هذا شأن مختارات المنفلوطي من تافه الموضوع وسخيف المعنى فماذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنبه الظانين أن المنفلوطي لايقع الغلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذا كر كلمات وقعت عليها عيناي عرضا وانا أقلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميْت : ص٧ » اراد بها المَيت وهذا غير ذاك ، واستعماله كلمة « بسيطة : ص١٢و٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، و« البسطاء: ص ٨٩و٩٠ و٤٠١ » يريد الأغرار، و«البساطة : ص٣٩٩» بمعنى الغرارة وهو استعمال غير صحيح، وايراده كلمة «فخيم :ص ٢٥ » و« ص٢٥ مقدمة »والصواب فخم من دون ياء، وتذكيره الكأس « ص ٢٧ مقدمة» و«ص ٣٠٧ »والكأس لايجوز تذكيرها البتة، وايراده مصدر

وبهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالو الجحيم » ولكن المنفلوطي يصادم هذا النص الصريح بزعمه وهل يكون ذو الرين مرطلا في حياض المآثم أكثر ممن وصفه المنفلوطي بقوله « لا يتقي مأثما ولا يهاب منكرا ولا يخرج من حان الا الى حان ولا يودع مجماناً مجامع الفسق الاعلى موعد اللقاء » (ص ١٠٧) ويقول عن موصوفه هذا ان الله غفر له لأنه كان يجود على رب اسرة معدمة كأن أعمال الله تعالى فوضى لا نظام لها جلت حكمته وتعالى عن وهم الواهمين علوا كبيرا . ومما دلنا على أن آداب المنفلوطي ليست على حال من الكمال يغبط عليها وأن علمه بأحوال زمانه ناقص قوله انه بصر بالشيخ محمد عبده وقاسم بك أمين يتناجيان ويقول اولهما لآخرهما انك أفسدت المرأة بكتابك ويقول الآخر للاول انك أردت أن تحيي الاسلام فقتلته وليس هذا القول مما يلتئم مع الأدب أو يتفق مع الواقع وانما يدل على ان المنفلوطي لم يفهم مرامي قاسم ومناحي الامام ، وما كان لتأثير دروس هذا في اصلاح اهل الاسلام

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ومن القطع السخيفة الخالية من الفائدة والمعنى قطعة « الشعر البارد : ص ١١ » وهي لا معنى فيها سوى انه يقول انه يقرأ شعرا في الجرائد لا يستحسنه على شغفه الزائد بالشعر وانه يسمي الشعر الذي لا يستحسنه « الشعر البارد » فهل يصح ان ينشر مثل هذا القول في الجرائد ثم يطبع في كتاب على حدته ويسمى « المختارات » ؟ واذا كان هذا شأن مختارات المنفلوطي من تافه الموضوع وسخيف المعنى فماذا عسى ان يكون شأن غير مختاراته ؟

وأريد ان أنبه الظانين أن المنفلوطي لا يقع الغلط في كلامه بأنه يخطئ كثيرا في الاستعمال واني ذاكر كلمات وقعت عليها عيناي عرضا وانا أقلب صفحات الكتاب فمن ذلك كلمة « الميْت : ص ٧ » اراد بها المَيت وهذا غير ذاك ، واستعماله كلمة « بسيطة : ص ١٢ و ٣٠٣ » بمعنى ساذجة ، و « البسطاء : ص ٨٩ و ٩٠ و ٤٠١ » يريد الأغرار ، و « البساطة : ص ٣٩٩ » بمعنى الغرارة وهو استعمال غير صحيح ، وايراده كلمة « فخيم : ص ٢٥ » و « ص ٢٥ مقدمة » والصواب فخم من دون ياء ، وتذكيره الكأس « ص ٢٧ مقدمة » و « ص ٣٠٧ » والكأس لا يجوز تذكيرها البتة ، وايراده مصدر

جثا يائيا « ص ٣١٥ » وانما هو واوي، واستعماله كلمة الرياسة أو الرآسة مكسورة الراء تليها همزة «ص ١٣ و١٥ » وهذا خطأ محض، وجمعه لبائس على بؤساء « ص ٨٧و٣٩٧ » ، والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بائسون و بائسين، وقوله « غفوت اغفاءة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفاءة وقوله « يحلق الطير ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع،وقوله «جهل مشين:ص١٠٣» والصواب شائن لان الفعل ثلاثي لا رباعي ، وتذكيره للسن «ص ١٥٥ » وإنما هي مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من المخصص مانصه « والسن مؤنثة والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر »وتأنيثه للرأس « ص ٨٤» والرأس مجمع على تذكيره (راجع تاج العروس :ج ٤ ص ١٠٦) وادخاله «ال»على «كل» « ص ١٥٦ » وقد قال في اللسان « انه لم يجيء عن العرب »ولا ينفي هذا اجازة بعض المتوسعين لذلك

ومن فقراته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصيح قوله « لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انه جمَّ البلاهة ، وقوله «وكما ان في اغنياء الجيوب فقراء الرؤوس كذلك في فقراء الجيوب اغنياء الرؤوس ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الاستاذ الامام الفصيحة المأثورة « لاني في شغل شاغل من هؤلاء المرزوئين في عقولهم أولا وفي بيوتهم ثانيا »(ص ٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الاستاذ الامام، وقوله «كان كل ما في المسألة : ص ٧٨ »وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء، وقوله« فما خلَّصت من بينهم :ص ٨٤»وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لا معنى لها هنا لان معناها نجيت وانما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجا ولم يكن منجيا لسواه

هذا ما رأينا ان ننبه اليه من خطأ المنفلوطي وهو ما عثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال دع ان اكثر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا وقد تذكرت الآن كلمة لعزيز مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة حكيمة : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الاستاذ الامام في حجرة

جثا يأتيا « ص ٣١٥ » وانما هو واوي، واستعماله كلمة الرياسة أو الرآسة مكسورة الراء تليها همزة «ص ١٣ و ١٥» وهذا خطأ محض ، وجمعه لبائس على بؤساء « ص ٨٧ و ٣٩٧ » ، والصواب ان يجمع جمع المذكر السالم فيقال بائسون و بائسين، وقوله « غفوت اغفاءة : ص ١٦٤ » والصواب اغفوت اغفاءة وقوله « يحلق الطير ص ٩٣ » يريد بذلك الطائر وهذا من الخطأ الشائع، وقوله «جهل مشين: ص ١٠٣» والصواب شائن لان الفعل ثلاثي لا رباعي ، وتذكيره للسن «ص ١٥٥ » وإنما هي مؤنثة قال ابن سيده في (ج ١٦ ص ١٩٠) من المخصص مانصه « والسن مؤنثة والاسنان كلها مؤنثة وكذلك السن من الكبر »وتأنيثه للرأس « ص ٨٤» والرأس مجمع على تذكيره (راجع تاج العروس :ج ٤ ص ١٠٦) وادخاله «ال» على «كل» « ص ١٥٦ » وقد قال في اللسان « انه لم يجيء عن العرب »ولا ينفي هذا اجازة بعض المتوسعين لذلك

ومن فقراته الركيكة التي ليست من الاسلوب العربي الفصيح قوله « لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة : ص ٨ » وهو يريد ان يقول انه جمَّ البلاهة ، وقوله «وكما ان في اغنياء الجيوب فقراء الرؤوس كذلك في فقراء الجيوب اغنياء الرؤوس ص ٢٩٧ » وهو استعمال ركيك غير عربي وقد سرق بذلك كلمة الاستاذ الامام الفصيحة المأثورة « لاني في شغل شاغل من هؤلاء المرزوئين في عقولهم أولا وفي بيوتهم ثانيا »(ص ٥٥٩ ج ٢) من تاريخ الاستاذ الامام، وقوله «كان كل ما في المسألة : ص ٧٨ »وهذا من استعمال العامة وما هو من الاسلوب العربي في شيء، وقوله« فما خلّصت من بينهم :ص ٨٤» وهو من استعمال العامة ايضا وكلمة خلصت لا معنى لها هنا لان معناها نجيت وانما يريد ان يقول نجوت لانه هو الذي نجا ولم يكن منجيا لسواه

هذا ما رأينا ان ننبه اليه من خطأ المنفلوطي وهو ما عثرنا عليه ونحن ننظر في الكتاب نظرة اجمالية مما يدل على ان الكتاب مملوء بالاساليب الركيكة والخطأ في الاستعمال دع ان اكثر موضوعاته سخيفة تافهة عقيمة من الافكار الا ما كان منها مسروقا وقد تذكرت الآن كلمة لعزيز مصر عباس الثاني يحسن ايرادها هنا فانها كلمة حكيمة : ذلك انه كان في موسم من المواسم الرسمية خلا الى الاستاذ الامام في حجرة

خاصة يفاوضه في شؤون هامة فجاءه واحد من رجال حاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سموكم ليتلو ابيات التهنئة فقال له الامير « اننا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار » هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنفلوطي واشياعه كثيري الاصغاء اليها ليعلموا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلا يستطيعه مثلي وقد ذكرت آنفا انه نشر لنفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شؤون خاصة لا يعرفها الا المترجَم نفسه!! اضف الى هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد

على اننا نترك ما يمكن ان يكون فيه مجال القال والقيل والتمحل والتأويل ونرجع بالقارئ الى مقالة المنفلوطي «طبقات الشعراء» التي نشرها في (ص ٢٧١) من السنة الثانية لمجلة سركيس من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه بقلمه ما يأتي بنصه وفصه:

« المنفلوطي : شعره كالعقود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يخلب بروائه أكثر مما يخلب بيدائه وهو ازهري وحسبه انه نابغة قومه!!! » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٦٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتمداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لأنه سمى نفسه نابغة قومه الازهريين وهؤلاء من مصاص الأزهريين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ما تعطي وافضل ما تهب »(*) وعسى ان يتاح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لمؤلفه عظة بالغة

الانسانية

« مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حماه الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الذهن وحب العلم وقد انتدب لخدمة امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنتين وثلاثين صفحة بالقطع الصغير وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال وربع كتب الله لها النجاح

(*) هذه الفقرة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

خاصة يفاوضه في شؤون هامة فجاءه واحد من رجال حاشيته وقال ان الشيخ فلانا ينتظر سموكم ليتلو ابيات التهنئة فقال له الامير « اننا في حاجة الى الافكار لا الى الاشعار » هذه هي الكلمة الحكيمة التي يجب ان يكون المنفلوطي واشياعه كثيري الاصغاء اليها ليعلموا أن الامة في حاجة الى الافكار لا إلى زخرفة الالفاظ

اما الحكم على اخلاق هذا الكاتب فلا يستطيعه مثلي وقد ذكرت آنفا انه نشر لنفسه ترجمة طويلة عليها توقيع « احمد حافظ عوض » وفيها شؤون خاصة لا يعرفها الا المترجَم نفسه!! اضف الى هذا ان أسلوبها وأسلوب النظرات واحد

على اننا نترك مايمكن ان يكون فيه مجال القال والقيل والتمحل والتأويل ونرجع بالقارى الى مقالة المنفلوطي «طبقات الشعراء» التي نشرها في (ص ٢٧١) من السنة الثانية لمجلة سركيس من دون امضاء تلك المقالة التي كتب فيها عن نفسه بقلمه مايأتي بنصه وفصه:

« المنفلوطي : شعره كالعقود الذهبية الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة فهو يخلب بروائعه اكثر مما يخلب بيدائعه وهو ازهري وحسبه انه نابغة قومه!!! » الخ

وقد نشر هذه المقالة في النظرات (ص ٣٦٦) ولكنه حذف منها ترجمة نفسه فكيف يكون الحكم على مثل هذا مستطاعا وهو الذي وضع نفسه بتمداح نفسه فوق الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد باشا زغلول لأنه سمى نفسه نابغة قومه الازهريين وهؤلاء من مصاص الأزهريين ؟

« اللهم عرفنا بأقدار انفسنا فذلك الهم انفس ماتعطي وافضل ماتهب »(*) وعسى ان يتاح لنا تصفح الكتاب برمته لنكتب لمؤلفه عظة بالغة

الانسانية

« مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية انتقادية عمرانية نصف شهرية » اصدرها في مدينة حماه الشيخ حسن الرزق المشهور باستقلال الفكر واستنارة الذهن وحب العلم وقد انتدب لخدمة امته بهذه المجلة بسائق الرغبة في إعلاء شأنها بقدر المستطاع وهي ذات اثنتين وثلاثين صفحة بالقطع الصغير وقيمة اشترا كها في البلاد العثمانية ريال وربع كتب الله لها النجاح

(*) هذه الفقرة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

العلم

« مجلة تخدم العلم والدين وتبحث عن أصول الترقي ماديا وأدبيا » لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من أعلام علماء النجف (العراق)ومشهوري كتاب العصر هنالك وهي تصدر بثماني وأربعين صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والعلمية والادبية وقد اعجبنا من منشئها قوله في مقدمتها « ولدينا الانتقاد الصحيح خير من الاطراء في المديح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشتراكها ريال وربع فنرجو لها الانتشار

التلميذ

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة العثمانية ببيروت » وقد سررنا كثيرا بصدور هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتمرين التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجوون لنهضة وطنهم واعلاء شأن أمتهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة تصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو ! وقيمة اشتراكها ريال وربع فعسى ان ينمي قارئوها ويكثر مشتركوها

الذكرى

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التنير من مهذبي نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التنير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكرى) غرضها ارشاد المسلمين الى انتهاج الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من عِلّية القوم ونحن نعرف التنير غيورا فاضلا مطلعا فنرحب بمجلته ونرجو أن يوفق للخدمة الصحيحة

حسين وصفي رضا

السلم

« مجلة تخدم العلم والدين وتبحث عن أصول الترقي ماديا وأدبيا » لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني من أعلام علماء النجف (العراق) ومشهوري كتاب العصر هنالك وهي تصدر بثماني وأربعين صفحة بالقطع الصغير حاوية لكثير من الموضوعات الدينية والعلمية والادبية وقد اعجبنا من منشئها قوله في مقدمتها « ولدينا الانتقاد الصحيح خير من الاطراء في المديح » وهذا القول لا يصدر الا من ارباب النفوس المهذبة بالعلم الصحيح وقيمة اشتراكها ريال وربع فنرجو لها الانتشار

التلميذ

« مجلة مدرسية اخلاقية شهرية تصدرها الجمعية العلمية في المدرسة العثمانية ببيروت » وقد سررنا كثيرا بصدور هذه المجلة التي ستكون خير سبيل لتمرين التلاميذ على قرض الشعر والانشاء وقوة البحث والمناقشة اولئك التلاميذ المرجوون لنهضة وطنهم واعلاء شأن أمتهم فان مدرستهم تلك هي من أحسن مدارس بيروت التي تخرج فيها فريق من خيرة نابتة سورية وعسى أن يتولى رئيس المدرسة تصحيح المجلة فقد آلمنا ما رأيناه فيها من الخطأ في الاملاء والخروج عن قواعد النحو ! وقيمة اشتراكها ريال وربع فعسى ان ينمي قارئوها ويكثر مشتركوها

الذكرى

جاءتنا نشرة من بيروت بتوقيع محمد طاهر افندي التنير من مهذبي نابتة بيروت يقول فيها ان والده السيد عبد الوهاب سليم التنير قد عزم على اصدار مجلة اسمها (الذكرى) غرضها ارشاد المسلمين الى انتهاج الطريقة المثلى وانه سيساعده في كتابتها فريق من عِلّية القوم ونحن نعرف التنير غيورا فاضلا مطلعا فنرحب بمجلته ونرجو أن يوفق للخدمة الصحيحة

حسين وصفي رضا

باب الأخبار والآراء

﴿ إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية ﴾

مناجاة ودعاء

اللهم الطف بهذه الامة وبدولتها واحفظها من فتن المفسدين في الارض، اللهم اقطع عنها ألسنتهم ،وكفّ عنها كيد اقلامهم ٠اللهم إنك تعلم أن المخلصين قد بذلوا جهد طاقتهم في النصح و إصلاح ذات البين وسعوا الى ذلك من كل طريق يرونه نافعا ٠ اللهم إنا لا نملك بعد حسن القول والسعي الا الاستغاثة بك ودعاءك فلا يغلبنّ مكرهم السيء مانرجو من لطفك وعنايتك، اللهم انه لايخفى عليك كيد الذين يفسدون في الارض ويتبزون المصلحين بلقب الافساد، ويلقون العداوة والبغضاء بين عبادك ويعيبون بعملهم السيء من يعملون الصالحات بالتأليف بين القلوب وجمع الكلمة على الخير ، اللهم إنك تعلم ان من هؤلاء لمن يفوّق سهام كيده ومكره للأمة العربية التي شرفتها وفضلتها بخاتم أنبيائك ورسلك وخير كتبك المنزلة لهداية خلقك وخاطبت سلفها الصالح بقولك الحق «كنتم خير أمة أخرجت للناس » ولكل من تبع ذلك السلف من الخيرية بقدر اتباعه لهم ٠ اللهم انهم حسدوها أن جعلت كتابها عربيا مبينا فهم يريدون ترجمته ليكون عرضة لتحريف المحرفين ،واختلاف المتفقين ٠اللهم إنك أنزلته لتجمعهم عليه ، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه ، اللهم إنه حبلك المتين الذي امرتنا أن نعتصم به ولا نتفرق عنه بقولك (٣: ١٠٣واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وهو بيناتك التي قلت فيها (٣ : ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات) اللهم انهم يزعمون ان رسالتك

خاتم رسلك ماتمت الي الآن ، وانها لاتتم الا بترجمة القرآن ؟ وانت قلت وقولك الحق (٥ : ٣ اليوم اتممت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) اللهم انهم يزعمون أن دينك لم يقم بالحجة والبرهان ، وان نبيك (ص) كان يكره الناس عليه بالسيف والسنان ، وانت قلت وقولك الحق (٢ : ٢٥٦لا إكراه في الدين ــ ١٠ : ٩٩ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ؟ ؟

المقصد

بينا في أول مقال كتبناه عن الانقلاب العثماني واستبدال الحكم النيابي بالحكم الشخصي المطلق انه يخشى في هذا الطور الجديد الذي دخل العثمانيون فيه من عاقبة اختلافهم في الاجناس واللغات والاديان وجددنا في التأليف بينهم سعيا جديدا غير ما كنا نسعى اليه سرا في جمعيتنا (الشورى العثمانية) المؤلفة من جميع العناصر العثمانية · ظهرنا بالتأليف الجهري فخطبنا في كنيسة الارمن في القاهرة خطبة جعلها الاخلاص مؤثرة في نفوس حاضريها من العثمانيين المختلفين في الاديان والمذاهب حتى قال لنا فارس افندي نمر محرر المقطم يومئذان هذه الخطبة وحدها تضاهي عملك في التأليف والوفاق مدة عشر سنين · ثم سحنا في البلاد السورية وخطبنا مرات عديدة في ذلك وتكلمنا وكتبنا كثيرًا ورأينا لعملنا وعمل غيرنا تأثيرا حسنا أعان عليه في تلك البلاد ذكاء الأهالي وأخلاقهم الحسنة

بينا نحن نرى الولايات السورية أهدأ الولايات العثمانية وأشدها اغتباطا بالحكومة الدستورية ونرى من البلاد العربية كاليمن والحجاز وقد هدأ ما كان يقع فيها من الكفاح والغارات فصارت اشد خضوعا للدولة من ولاياتها الاوربية التي هي مهد قوتها وعظمتها فالعاصمة نفسها محكومة بديوان الحرب العرفي والدماء تخضب ولايات الارنؤط ، ومقدونية تتمخض بما تتمخض به ، ــ بينا نحن على ذلك واذا بغراب ينعب من أول هذه السنة الهجرية بصوت عربي غربي غريب يخشى شره ولا يرجى خيره

صاح الغَرور يغر العرب ويغريهم باخوتهم الترك : يقول ان العرب هم الحاكمون

والترك هم الخادمون ، ويطرئ الامة العربية بالشعريات التي تحفز النفوس الى طلب مالا يطلب ونيل مالاينال ، ولم يفهم احد من العرب معنى كونهم هم الحاكمين والترك هم الخادمين الا ان الكاتب يفهمهم ان الامر يجب أن يكون كذلك وانه عليهم أن يطلبوا هذا الواجب ؛ لأن الأمر في الواقع ليس كذلك ، ولكن هذا التغرير لم يؤثر في اغراء العرب لا لأن قائله منهم عندهم يبغضه إياهم بل كان له دافع آخر من نفوسهم وهو اعتقادهم ان الترك اخوتهم في الدين وحكامهم الذين رجعوا باعلان الدستور الى هدي الاسلام بمشاركتهم اياهم في الحكم فلا خادم في العناصر ولا مخدوم ، وما القول بذلك الا من نزغات الشياطين ووساوس المفسدين

تهافت قول هذا الناعق وتناقض فهو تارة يطرئ العرب ويغلو في مدحهم ، وطورا يعرض او يصرح بالطعن في جميع الظاهر بن منهم كأمير مكة المكرمة والمبعوثين وطلاب المناصب والخدمة في الدولة والكتاب الخادمين للدولة من طريق خدمة العرب اذ يكتبون بالعربية — وتارة يدعي انه خادم الاسلام وناشر دعوته ومبتغي ارتقائه بارتقاء العرب ثم يدعو الى ترجمة القرآن بلغة المسلمين ليستغنوا عن القرآن المنزل من عند الله تعالى ، ويزعم ان الاسلام قام بالاكراه كما أشرنا الى ذلك في في المناجاة التمهيدية وهذا أشد مطعن يسدده الاوربيون الى قلب الاسلام، ويذكر سيدنا عيسى (عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر النبيين) بلقب رجل يهودي و بعد هذا كله يخص بطعنه الصريح من قضى زهرة عمره في خدمة الاسلام والدفاع عنه

هنالك ما هو شر من ذلك وهو السعي في مقاومة المشروع الاعظم لخدمة الاسلام وهو إنشاء مدرسة دار العلم والارشاد التي يتربى فيها الوعاظ والمرشدون ليقوموا بما أوجبه الله تعالى من فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العامة عقائد الاسلام وآدابه وأحكامه مع التنبيه الى مصالح الدنيا كترقية الزراعة وكل ما ينمي ثروة الامة ويعزز الدولة . فقد حدثني الثقة ان شيطان الفساد بعد ان مدح المشروع قبل ان يتقرر عاد الى التنفير منه بعد ان علم بأنه تم او كاد فهو ينفر كل من يظن انه يساعده على هذه المقاومة بما يرى انه يصيب موقع التأثير من وجدانه والاقتناع من فكره : يقول الملاحدة ان تأسيس مدرسة إسلامية عربية في الآستانة

بجعل للدين قوة معنوية «جزويتية» تقضي على حريتكم وتذهب بجميع مقاصدكم!!! ويقول للمتعصبين مثله الجنسية ان هذه المدرسة تقوي اللغة العربية وتحييها فتزاحم التركية في عرشها الاعلى ! ! ! ويقول للمتدينين الجامدين إن هذه المدرسة تحيي علوم التفسير والحديث والفلسفة فتفسد عليكم التعليم المقرر في مذهب الامام الاعظم !! وينفر بعضهم عنها بالطعن في شخص الداعي إلى تأسيسها وكأنه لايدري اننا نطلب ان تؤسسها جمعية من الفضلاء والعلماء وان يكون التعليم فيها بما يرضونه ويختارونه ويكون أيضا بمراقبتهم الدائمة ، فهل يضر المدرسة مع هذا ان يصدق الكذوب ويكون الطعن في شخص الذي نبه الى هذا العمل النافع صحيحا ؟

. إذا كان خذلان مفسدي المسلمين لمصلحيهم قد وصل الى هذه الغاية فهل يستبعد بعد ذلك شيء مما ذكرنا عن غراب التفريق والتبكيت ؟؟. ماذكرمشروع (العلم والارشاد) لعالم ديني أو غير ديني ولا عاقل عربي أو أعجمي مسلم أوغير مسلم مستمسك بدينه أو متهاون فيه الا وأعجب به واعترف بفائدته ونفعه وبأنه لايجهل محله سواه في فائدته ومنفعته حتى ان بعض الملحدين قال اننا نحب ان يتعلم الاسلام على وجهه فان المسلمين يكونون بذلك أقرب الى الترقي الذي يصدهم عنه المتعصبون باسم الدين ، كما يكونون أبعد عن إيذاء المخالفين ،وأما سائر الوساوس فظاهرة البطلان

بلغني خبر هذه السعاية فكان اول شيء سبق الى ذهني عند سماعه فاتحة كلام نشر في جريدة العروة الوثقى وهو على ما أتذكر

« أسف يصهر الجسم وحسرة تذيب الاكباد على قبيل من أمة ، أو شخص منها ذي همة ، يستخير الله في عمل ينقذ أمته من ضعة ، أو يعود عليها بمنفعة ، ثم يعرض له في اثناء عمله من ينجم كقرن المعز ليفقأ عين العامل و يعرقل عليه عمله» الخ

وتلا هذه الذكرى في خاطري ما كنت سمعته من الاستاذ الامام محرر تلك الجريدة (العروة الوثقى) في هذا المعنى رحمه الله تعالى: واللهانني ماتشبثت بخدمة للاسلام أو المسلمين وقاومني فيها أحد من غير المسلمين ، ماقاومني في شيء من ذلك انكليزي ولاقبطي ولاسوري مسيحي و إنما لقيت مقاومة كثيرة من المسلمين أنفسهم في خدمة الاسلام والمسلمين !!

نعود من هذا الاستطراد الى أصل الموضوع وهو إيقاظ الفتن في البلاد العثمانية فنقول ان ناعق الفتنة لم يكتف بتغرير العرب وإغرائهم با خوتهم الترك بل عمد إلى إلقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى منهم فنفخ روح العصبية الدينية في الفريقين فجرح كل واحد في دينه جرحا داميا ، وأغرى كلا منهما بالآخر ومزق نسيج الوحدة الجنسية بينهما بايهامه من يقرأ كلامه من النصارى انه بتهكمه بدينهم يتكلم باسم الاسلام ويرضي المسلمين و بانكاره ان يكون النصراني عر بيا مع علمه ان النصرانية كانت في العرب قبل البعثة المحمدية كاليهودية . ويرى القارىء في فتاوى هذا الجزء سؤالا عن حديث « ان الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة » أي يحفظه و يؤيده . وما رأيت ولا رأى الراؤون اسخف من اختراع هذه العلة لتفريق أي جمل العربية والنصرانية ضدين لا يجتمعان ، وناهيك بسخافة ينقضها العيان ،

اطلعنا على ما كتبه في ذلك موقظ الفتن فبادرنا الى مقابلة الضد بضده، ومقاومة الشر بالخير ، والقذف بالحق على الباطل ، فكتبنا مقالة في تذكير أهل سورية وبيروت بما فيه خيرهم وخير دولتهم من الوفاق والوئام ، ونشرناها هنا في جريدة الحضارة وسيراها القراء في المنار السادس، ونرجو ان تكون دامغة لباطل موقظ الفتن، لانها حاجة داحضة لشبهته التي اخترعها خياله ، وناهضة في بيان ان مسلمي العرب يتبرءون من كل وسوسة تفرق بينهم وبين اخوتهم في الوطن والجنس واللغة والمصلحة والتابعية العثمانية كما يتبرأ الخير من الشر ، والنفع من الضر ، وان موقظ الفتنة لم يترجم عن ضمائرهم ولا قال ماقال بالنيابة عنهم وهو ليس منهم وان كان يحزننا أن وجد منهم من يترجم عنه ويكتب له مايريد باسمه واسم نفسه ، وهو لم يقل ماقال ايضا باسم الاسلام وقد علموا انه جنى على الاسلام اكثر مما جنى على النصرانية ، وينبغي ان يبرءوا الحكومة الدستورية من الاقرار والاعانة على هذا الفساد وان شاع انها تساعد هذا المفسد على عمله فان صح مايقال من مساعدتها إياه فلا بد ان تكون المساعدة لزعمه انه يعضد الاصلاح ودعواه ، « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

كل من اطلع على ما كتبه المفسدون يعرف من يقصد منهم بهذا الكلام اذ

لاينطبق على كثير من المفسدين ولو كان كل الفاتنين كمن ذكرنا لفسدت الارض وهلك الناس ، ومن لم يطلع عليه ولا وصلت اليه وسوسته فخبر له ان لا يعرفه ، على انه اذا ظل سادرا في إفساده، سادلا اذيال غروره وعناده ، فسننقل الكلام من حيزالابهام ونأتي بالشواهد والنصوص من كلامه المؤيدة لما قلنا تحذيرا من كل مايكتبه وما يقوله ، ولعل ديوان الحرب العرفي يكفينا ذلك بمنعه من أمثال هذه الفتن قبل ان يظهر اثرها الرديء فان الرجل و إن كان متهما بسوء النية عند جميع العرب يخشي ان يؤثر كلامه في بعضهم أو يكون سببا لسوء ظنهم بحكومتهم الدستورية وفقها الله لكل اصلاح ،وجعل أيامها الدائمة ان شاء الله تعالى أيام خير وفلاح

المسلمون في روسية
﴿ وسياسة الحكومة ﴾ (*)

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

أيها السادة : سأبحث لكم عن سياسة الحكومة مع المسلمين . لست اجدحاجة للبحث عن سياسة الحكومة العامة بعد خطابات ماقلاقوف وغيره من المبعوثين . واني اعلم ان السكوت والكلام سواء لأن الحكومة والنظار لا يعيرون اسماعهم لنداء الامة ولا سيما المسلمين ولكني اراني مضطرا الى الكلام خشية ان يحمل سكوت المسلمين على رضاهم بحالة الفوضى الضاربة اطنابها في كل مكان

أيها السادة : اني غير ذاكر لكم الحوادث المؤلمة النازلة بالمسلمين ولاسيما اقفال المدارس وطرد المعلمين وائمة الدين واحدةواحدة ولكني سأبحث عن سلوك الحكومة هذه السبيل . أيها السادة : ان المسلمين متضررون وواقعون تحت حيف الحالة الحاضرة والاختلال في روسية وان مسالمتهم وضعفهم وحلمهم كل ذلك جعلهم عرضة لمصائب ورزايا اعظم وأ كبر (هرج ومرج في المجلس)

(*) خطبة لصدر الدين افندي متصودوف القاها على اعضاء مجلس الدوما بروسية منقولة من مجموعة مذاكرات المجلس وقد نشرت في جريدة ترجمان التترية التي تصدر بباغچه سراي ونحن ننشرها مترجمة بالعربية

الرئيس : ارجو التزام السكوت والسكون

مقصودوف : ان مصيبة المسلمين بالمبشرين هي أعظم ماينغص حياتهم وقد تتولى الدهشة رفقاءنا اعضاء المجلس لهذه الشكوى ويقولون كيف تستاؤن من بضع مئات من الرهبان والقسوس وهم لا يرغمونكم بالقوة على قبول دعوتهم وانتحال دينهم بل ينشرونها بالوعظ والارشاد ولكن لو اقتصر الامر على ذلك لما تضجرنا ولا تذمرنا ولكننا نتضجر ونتأفف لا لدعوة بضع مئين من الرهبان والقسوس ولكن لانهم يرمون الى غاية سياسية من وراء ذلك . فهم لا يكتفون بالدعوة الدينية بل يبتغون من وراء ذلك صبغتنا بالجنسية الروسية . فنحن لانشكومن وعظهم وارشادهم ولكن من مآرب الحكومة باتخاذهم آلة لها لتنفيذ اغراضها منا . لايخفى عليكم جميعا ان الحكومة في سياستها للمسلمين منذ نحو عشرين او ثلاثين سنة كانت على خطة « بوبيدانوسجف » وكما كان هذا واعظنا كان ايلمنسكي مبشرا . فعملا بأفكار هؤلاء أقفلت مدارسنا وضيق على ظهور صحافتنا ثم املنا عقب اعلان المساواة الدينية والمدنية في القرار العالي بأن ننجو من وطأة الرهبان واغراضهم الحكومة بنا ولكن خاب منا هذا الامل لان الحكومة لاتزال تصغي وتعمل بما يمليه عليها الرهبان . وما تريد أن تعلمه من أحوال المسلمين ترجع فيه الى الرهبان . ومما يجدر بالتأمل في مثل هذه الامور التقرير الذي رفعه المسيو « الكسي » ناظر مدرسة الرهبان العليا في قزان الى نظارة الخارجية ولو وقف الامر عند هذا الحد لاضربت عن ذكره ولكن دائرة الاديان الاجنبية من نظارة الداخلية تهتم به اهتماما عظيما ومما يستدعي النظر انه قد ألفت جمعية غايتها الوقوف على حركة المسلمين والحيلولة بينهم وبين آمالهم الملية .

واليكم فكر الناظر « الكسي » وملاحظة « ان مسلمي روسية منتهجون سبيل الاتحاد الاسلامي وهم يؤسسون المدارس والجرائد والمجلات ويقبلون على التعليم و بالاختصار فهم دائبون وراء استنارة أفكارهم وترقية مداركهم وغاية ذلك الاتحاد الاسلامي » ولا أصل على ما أعلم لما يذكره ذلك الراهب من انتشار فكرة الجامعة الاسلامية بل ان استنارة الافكار والسعي وراء الترقي لاعلاقة له بذلك كما لايخفى ثم ان الاسلام في نظر المسيو « الكسي » عبارة عن الجهاد وسفك الدماء ويزعم ان

الثابتة الحديثة تستحسن هذا الامر فاعلموا ايها السادة ان حكمة الاسلام وسيرته تنقضان هذا الزعم وانما غاية الاسلام الترقي والمدنية والتأريخ شاهد على ماقامت به بغداد والاندلس من رفع منار العلم وما يبتغيه المسلمون ليس الاتحاد الاسلامي وانما الترقي والمدنية واصلاح حالتهم الاجتماعية فان كان هذا مما لايرضى عنه الراهب فذاك أمر آخر.

ثم اذا كان المسلمون ينشئون الجمعيات الخيرية فأي دخل لهذا بالجامعة الاسلامية؟ إن كل من يظن ان لهذا الراهب الذي قدم تقريره لنظارة الداخلية وقوفا على احوالنا فهو مخطىء لانه يجهل لغتنا وكل ما كتبه عنا مترجم مما كتب بالفرنسية. ونظارة الداخلية تبني سياستها نحونا على امثال تلك الكتابات وهي آخذة في وضع خطة جديدة نحو المسلمين وبها تريد تفريق الدين عن القومية فهي لاتهاجم دينهم الاسلامي بل هيئتهم القومية. أيها السادة: ان الدين والقومية واحد في المسلمين ولا يمكن تفريق احدهما عن الآخر ولم يفترقا منذ عصور وفي موقفي هذا قد أعلنا وأعلن رفقاؤنا مرارا وتكرارا أن مسلمي روسية انما هم شعب مسلم اي انهم ليسوا روسيين مسلمين فهم أمة يجدر بها ان تعيش كأمة وقد قلت ذلك ولا أزال أعيده حتى يلجم لساني ويكم فمي!

وسنحافظ على قوميتنا محافظة لانخرج بها عن دائرة الاخلاص لتابعيتنا فسنحافظ على لغتنا القومية وسندأب على ترقية شأنها ورفع آدابها شأن كل الامم واني اصرح للحكومة بأن كل مايضعونه في سبيلنا من العقبات والموانع وما يعدونه من التدابير سيكون عقيما. لاننا نعد المعارضة لقوميتنا تصديا لديننا وعلى ذلك فلا الحكومة ولا دائرة المذاهب الاجنبية تقدر أن تفصل ديننا عن قوميتنا وان تضعف احدهما وتخمد الثاني. فنحن سنعيش أولا كمسلمين وثانيا كشعب بمقومات خاصة في روسية واني واثق اننا سنقاوم التدابير الجديدة التي تعدها دائرة المذاهب الاجنبية ضدنا بنفس الروح التي أظهرناها في مقاومة «ايوان غروزني» الذي حاول تنصيرنا بالسيف! ايها السادة: انني اختم كلامي بأن أعلن بأننا نحن مسلمي روسية سنعيش كشعب حر في روسية الحرة. (تصفيق في الجناح الايسر)

تعصب أوربا الديني

(الزام النمسا والمجر لمسلمي بلادهم باتباعهم في أحكام الزواج والطلاق)

نشرنا في المجلد الماضي (ص٤٣٨ و٤٩٩ و٨٥٦) وفي غيره نبذاً ومقالات بينا فيها ان الغلو في التعصب الديني منبعه أوربا ونحن في كل آن نرى الآيات والشواهد على ذلك من غير تتبع ولا استقراء . من ذلك مارأيناه في هذه الايام في جريدة (صداي ملت) التي يصدرها بعض روم الاستانة باللغة العثمانية هنا (الآستانة)

وماذا رأينا فيها ؟ رأينا عجبا !رأينا ان الحكومة قررت أن دين المسلمين لايتفق مع مدنيتهم في احكام الزواج والطلاق لانه يبيح تعدد الزوجات فيجب إلزام المسلمين وا كراههم على اتباع محا كم الدولة في ذلك وعدم السماح لهم بجعل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع الى محا كمهم الشرعية التي كانوا يحكمون فيهابمايتعلق بالامور الشخصية !! ولا يبعد ان يمنعوهم بعد زمن قريب أو بعيد من الحج لان فيه مشقة أو تعرضا للمرض وهم لشدة حبهم للمسلمين يحولون بينهم و بين مايؤذيهم !! ومن الصوم لانه مانع من حرية التلذذ الذي هو منتهى الحظ من هذه المدنية !! ومن الصلاة لان فيها أجتماعا على غير ماتحب الدولة العادلة !!

لو فعلت هذه الفعلة التي فعلتها النمسا الحكومة العثمانية أو حكومة مراكش أو الافغان لقامت قيامة أوربا وأمريكا والعالم المسيحي كله حتى التابعين للحكومة الاسلامية التي تفعل ذلك وتجاوبت اصداؤهم بالصياح والشكوى من تعصب المسلمين والتحريض على ابادتهم من الارض فاعتبروا ايها المنصفون !

(اعتصاب الزيتونيين) اعتصب طلاب جامع الزيتونة بتونس عن تلقي الدروس طالبين تغيير الحال بما ينجح الاعمال وينفع في الحاضر والمآل وبعد ان كادت تخذلهم السياسة نصرهم الاتحاد فاجيبوا الى معظم ما طلبوا وقد كنا كتبنا مقالة نرحب فيها بهذه النهضة فلم يتسع لها هذا الجزء

(الانكليز في بلاد العرب) كتبت التيمس مقالة فيها تلويح ينبيء عن تصريح بما توجهت اليه عزائم الانكليز من العمل في بلاد العرب فعسى ان تستيقظ الدولة وتصيخ الى هذا الصوت لا الى صوت ذلك الموسوس المفرق ولعلنا ننقل المقالة في المنار السادس ونقفي عليها بما يعن لنا من النصيحة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الحادي والعشرون (*

(الدليل النقلي)

اقتداء الناس بعضهم ببعض أمر قد ألفته طباعهم عظيم الالفة. وربما كان من سنخ غرائزهم ، ومن مادة تصورهم ، اذ رأيناه عريقا في مرافقة الاجيال، والتنقل في الانسال، وموغلا في الرسوخ والاستقرار ، والدوام والاستمرار ، لا يزحزحهم شيء عنه ، ولا يفصل بينهم وبينه فاصل

هذا الاقتداء نفع البشر كثيرا ، واضر بهم كثيرا ، فاما نفعه اياهم فلأن الا كبر سنا ، والا كثر فهما ، والاشد قوة ، والاغزر تجربة، يجعلون المقتدين بهم يتحدثون حيث انتهوا هم ، ويمهدون لهم ما لا يستطيعون أن يمهدوا لانفسهم ، ولو بقي الطفل والغبي والضعيف والغرخالين من طبيعة الاقتداء لراحت اكثر التجارب والاختراعات والتفكرات والاعمال العظيمة سدى ، ولولا الاقتداء لما تمددت الاعمال والصناعات، ولا كثرت البدائع ، ولا ارتقى التمدن ، ولا نمي العمران، ولا سيما النظام . وأما اضراره بهم فلانه ساق أحيانا الى الاقتداء بالجاهلين والمفسدين ، ووقف أحيانا بأقوام مع ماسن لهم اسلافهم وقفة الصخور ، وجعلهم يحرمون مما يأتي على أيدي الحكماء من الهدى متى خالف ماعرفوا من قبل ، وان اصبح ماعرفوه منكرا لدى أهل زمانهم أجمعين

البحث عن نفعه واضراره ، ووضع الموازين للدرجات فيه، لاقرابة

*) تابع لما نشر في (ص٢٣١ م١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبدالحميد الزهراوي

بينه وبين موضوعنا ، ولـكن اتخاذ الناس بعض كلام الآخرين من جملة الادلة هو الذي حملنا أن نقدم هذه الكلمات في وصف عراقته وبيان أن بعضه نافع كما وقع للسيدة « خديجة »

* * *

كان للسيدة «خديجة » ابن عم قد شبع من الاعوام ، وارتوى من حديث الانام ، قد تعلم العبرانية وقرأ بها الاسفار ، وعرف بها الاديان ورضي بدين ابن مريم (عليه السلام) دينا وهو « ورقة بن نوفل »

هذا الشيخ الجليل كان جديرا أن يكون اماما لخديجة تتخذ قوله حجة وهديه معتصما لان هناك وجوها كثيرة تدفع عن نفسها الريب بأن هذا الرجل أعلم منها بهذه الامور وانه لا يصدر عنه الا النصح لها، فهو بالدرجة الاولى ابن عمها بل بحسب السن مع القرابة هو في مقام ابيها ، فلو أن ورقة غشاش مخادع لما كان منه الغش والخداع لبنت عمه فكيف وهو مستمسك اذ ذاك بدين ذلك الانسان المملوء قدسا الذي كان اكبر همه حث الناس على التحابب ونهي بعضهم لبعض، ونهيهم عن التشاحن وايذاء بعضهم لبعض . وهو مع قرابته وسمو التعاليم التي تزكت بها نفسه كان في نظر خديجة سامي الهمة جدا

ذلك ما حملها على الاسراع اليه لتقص عليه الخبر وترجع في هذا الامر الى علمه وأخذت معها بعلها ليقص هو نفسه على سمعه ما رأى

كان ورقة بحسب ما قرأ وعرف مصدقا بأن ليس هذا الهيكل البشري الا مظهرا لشيء يحل فيه هذه المدة القصيرة باذن الله وهو الروح ، وأن للروح ظهورات غريبة في بعض الهياكل ، وانه توجد أرواح من شأنها الاجتنان عن الحس والعيان تتمكن من الانسان من حيث لا يشعر ، صنف منها يحب جذبه الى سبل التكمل ، وصنف منها يحب بقاءه في

حضيض البهيمية ، يقال في العربية للاول ملائكة وللثاني شياطين

كان مصدقا بكل هذا ومؤمنا أيضا بأن بعض الارواح الذين هم الملائكة يختصهم الفاطر المصور بمزيد خصائص ويجعلهم نواميس أي وسطاء الوحي الأعلى للذين يريد سبحانه أن تكون ظهورات الروح فيهم سامية جدا

كان قد قرأ الانبياء وعرف مجيء الارواح اليهم وعرف أنه يقوم أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وأن لهؤلاء وهؤلاء علامات. فنحن لما سمعنا ذهاب خديجة الى هذا العالم المسيحي خطر ببالنا أنه لا يكون سهلا تصديقه بقدسية الروح الذي أتى محمداً (صلى الله عليه وسلم) لان يوحنا الرسولي يقول في رسالته الاولى «أيها الاحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الارواح هل هي من الله لان أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم. بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله» ولكن الذي خطر ببالنا أن وقوعه صعب قد رأيناه أمراً واقعا فان ورقة بعد أن سأل بعل ابنة عمه بضع مسائل قال له هذا هو ناموس موسى أي الروح الذي جاءه . والظاهر أنه لم يقل هذا القول ولم يصدق هذا التصديق الا بعد أن عمل الامتحان الذي أوصى به يوحنا الرسولي وظهرت له العلائم الدالة على أن هذا الروح من الله على حسب ما نعلم من الكتب

نحن لا ندعي العلم بتفسير هذه الكلمات التي ليوحنا ولا طريقة الامتحان التي أشار بها ولكن نظن أن ذلك العالم القريب من ذلك العهد بالنسبة الى زماننا هذا كان لا يجهل هذا التفسير . وكذلك لا ندعي العلم بتفسير قول موسى لبني اسرائيل «ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من

اخوتكم» ولاتفسير الاصحاح الثاني والاربعين من «اشعياء» ولكن يظهر لنا أن ورقة قد فهم من قول موسى هذا ومن اشعياء أنه سيكون نبي من العرب يكون مقامه حوالي سلع ذلك الجبل المعروف في البلاد العربية. وهذا نص مافي أشعيا :

«١ هوذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لايصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لايقصف ، وفتيلة خامدة لايطفىء، الى الامان يخرج الحق ٤ لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الارض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحا ٦ أنا الرب قد دعوتك بالبر ، فأمسك بيدك ، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم ٧ لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة ٨ أنا الرب هذا اسمي ومجدي ، لاأعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد أتت ، والحديثات أنا مخبر بها، قبل ان تنبت أعلمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة ، تسبيحه من اقصى الارض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر »

***

قد قلت وأعيد قولي اني لاأدعي العلم بتفسير هذه الكتب ولكني لما رأيت ورقة قال لزوج بنت عمه هذا هو ناموس موسى بحثت عن منشأ

قوله هذا فوجدت فيما ذكرت آنفامن قول موسى واشعيا مايشبه أن يكون مأخذاً فمن أراد أن يقول لي لايفهم من قول موسى وأشعيامافهمت لايجدني آسفا على عدم إصابة ظني بخصوص ماحمل ورقة بن نوفل على قوله هذا فانه يجوز أن يكون قد عرف ذلك بنير ماظننته . ولست في هذا المقام بذي حجاج ومناظرة انأناههناالا كاتب سيرة أجتهد باستقصاء فروع حوادثها وتفسيرها على قدر فهمي ومبلغ ماوصلت اليه من التقول

وههنا مسألة جليلة لانستطيع مفارقة هذا المقام من غيرأن نوضحها ونسهل فهمها على القارئ وهي ان الارواح قد تعلم بعض الاشياء قبل وقوعها اذا كشف الله تعالى لها عنها بواسطة النواميس أو واسطة غيرها

هذا المعنى كان بنو اسرائيل يقولون به كما كان كثيرمن الامم الاخرى تذهب اليه وقد جاءت كتبهم حاملة سلسلة من أخبار هؤلاء البشر الذين كان الروح الالهي ينزل عليهم فينبئهم بما سيكون . وتبتديء هذه السلسلة المهمة في كتبهم بحديث نوح الذي أنبئ فأنبأ بانه سيكون طوفان ويموت كل من على وجه الارض وهدى الى صنع الفلك فصار الطوفان ونجاهو وأولاده ونساؤهم وتناسلوا بعد الطوفان ثم تفرقوا ثم اصطفى اللهمن هذه الانسال ابراهيم (*) وكان ينزل عليه روحامن عنده ،وشاخ ابراهيم وزوجته سارة من غير أن يصير لهما نسل ولكن حبلت منه أخيرا هاجر جارية زوجته ونزل عليها الروح وقال لها سيكثر نسلك فلايعد من الكثرة فولدت له إسماعيل ثم انبئ أن زوجته سارة ستحبل وتلد بعد هذه الشيخوخة

---

*) ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح (كذا في التكوين)

وطول هذا المقم فولدت له اسحاق وانبئ ان نسل اسحاق سيكون كثيرا أيضا . وغضبت سارة على هاجر فطردتها وغلامها فنزل على هاجر الروح وقال لها لاتخافي لان الله قدسمع صوت الغلام وسيجعله أمة عظيمة وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية برية فاران التي قال عنها موسى ان الله سبحانه تلألأ فيها

وتأخذ كتب بني اسرائيل بعد ذلك بسرد أخبار من تناسل من اسحاق بن ابراهيم وأما أخبار من تناسل من أخيه اسماعيل فلا تذكرها فابن اسحاق يعقوب وهو اسرائيل كان الروح ينزل عليه ، ويوسف بن يعقوب كان الروح يجيء اليه

ويوسف هو سبب مجيء بيت يعقوب الى مصر وهنالك تناسلوا وكثروا حتى ولد فيهم موسى صاحب الشريعة الشهيرة . هذا أيضا كان ينبأ وينزل عليه الروح وهذا قال لقومه « ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم »

واسس موسى لبني اسرائيل ملكا على الوحي الروحي وخلفه بعد موته تلميذه يوشع بن نون وبعد موت يوشع بدأ الفساد والضعف يحل بهم ثم انتشلهم داود وسليمان وتعاظم الملك في أيام سليمان ثم طرأت عليه بعده الطوارئ حتى زال . ولم يخل زمان من أزمنة ملوكهم وبعدها من نبي أو عدة أنبياء حتى نزل الروح أخيرا على مريم أم عيسى وبشرها بانه يكون لها ولد من غير أن يمسها بشر . وقد ولدت مريم عيسى على هذه الصورة التي بشرت بها وصار نبيا أيضا ولكن قومه كذبوه ولم يصدقه الا قليل . وقد كذبوا من قبله أكثر الانبياء الذين كانوا ينذرونهم بزوال الملك اذا غلوا في الفساد

أنا لا أعرف لماذا يكذب بعض الناس بأشياء هم مصدقون بمثلها ، أو يصدقون بأشياء هم مكذبون بمثلها . هذا أمر وقع كثيرا ويقع دائما أمام أعيننا واسماعنا فهل التصديق والتكذيب بحسب وزن الاشخاص؟ وماهو الميزان في الاشخاص؟ أم بحسب وزن العقل وماهو سبيل العقل في التصديق والتكذيب بمثل هذا؟

أنا أرى أن من آمن بسعة قدرة الله ، وبعجائب صنع الله، ونفذت بصيرته لرؤية آثار روح الله ، وآمن بمجيء ناموس الله لعبده موسى لا ينبغي له أن ينكر قدرة الله في اخراج عيسى من مريم بغير واسطة بعل ، ولا يجدر به أن يكذب نزول روح الله عليه كما نزل على أخيه موسى . ومن آمن بعجائب موسى وعيسى ابني اسحاق وبنزول روح الله عليهما لا ينبغي له أن يستبعد نزول هذا الروح على أخ لهما من بني اسماعيل

هذا أقوله للذين صدقوا بما هنالك من العجائب والغرائب الموسوية والعيسوية وأما الذين لا يصدقون بهذي وتلك ولا يحكمون الا الحس والعقل فهؤلاء أمضي بهم الى التجارب والمشاهدات وأنا واثق أنا لا نعدم في خزائنها كثيراً مما يؤيد أن بعض البشر يخبرون عن بعض الحوادث قبل وقوعها

فان قال لي هؤلاء نعم قد يوجد أناس على هذا النحو ولكن ليس هذا سببه اخبار من روح كما تقولون قلت لهم اذا توافقنا في ثبوت الاصل فلا ضير علينا بعد ذلك بالاختلاف في الاسباب وأسمائها

وان قالوا لي ما الفرق بين هؤلاء الذين قد نراهم في أزمنتنا هذه من هذا القبيل وبين من تحدثونا عنهم قلت لهم ان هذا الفرق ظاهر لان الاختصاص كله من الله فهو يعطي انسانا معرفة بعض الوقائع الآتية

ويجعله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم لاتحيط به العبارة ويعطي انسانا آخر مثالا صغيرا من هذه المعرفة من غير أن يجعله شارعا وقائد أمم ومؤيدا بتأييد عظيم فالاول يقول أنا نبي أو أنا رسول ويظهر الله صدقه فيما يقول والثاني لايستطيع أن يقول هذا وان قاله لايظهر قوله حقا. فهل ينكر هذا الفرق الكبير ذو بصيرة لايعدوها الاخلاص الى الله والادب مع مجالي أمره ، ومظاهر سره ؟ !

لقد كان ورقة على ماظهر لنا شديد الاخلاص متوغلا في علم الروح ومعرفة النواميس الالهية وأخبارها ،وكان على نور فراسة من ربه وسرعة استطلاع فلما سمع هذا النبأ الجديد تفرس بصاحبه وتذكر مانقل عن الانبياء واصحاب النواميس من قبل، وتذكر قول موسى لقومه بني اسحاق « سيقيم الله نبيا مثلي من اخوتكم » وما اخوتهم إلا بنو اسماعيل فقال له هذا هو الناموس الذي نزل على موسى

ثم تذكر ايذاء الناس للانبياء مع قول اشعيا «لترفع البرية صوتها، الديار التي سكنها قيدار » وقيدار هو ابن اسمعيل ، وقوله « لتترنم سكان سالع » وسالع او سلع جبل على مقربة من «يثرب » من أشهر جبال العربية فلاح له أن قريشا ستضطر هذا النبي الى مفارقة بلده « مكة » فقال له « ليتني فيها جذعا — اي شابا — اذ يخرجك قومك »

وبعد برهة قليلة توفي ورقة . أما «خديجة» فاستمسكت بكلام هذا الرجل أيما استمساك وأضافت علومه الى ماقد عرفته هي بدلالة عقلها وتجربتها فأصبح ايمانها بنبوة بعلها ورسالته الى الناس اثبت من الرواسي